زوجي
لعبة تفاعليّة
"قصص تعيش بيننا"

زوجي

لعبة تفاعليّة

"قصص تعيش بيننا"

سامي عيساوي

2016

الناشر

نابلس- فلسطين
00970599732830

تنبيه

حقوق الطبع بأي شكل من الأشكال محفوظة للمؤلف.
لا يجوز نقل أو إعادة إنتاج هذا الكتاب بأي شكل من الأشكال بدون إذن خطي من المؤلف.

الطبعة الأولى
أيار/ مايو – 2016

هذه ليست لغتي..

إنّها لغة أبطال هذه القصص؛ التي تورطت في كتابتها رغماً عنّي..

حاولت أن أجبرهم على لغتي، على مفرداتي المنتقاه بعناية فاختفوا، اختفوا وآثروا الصمت.

إنّها كلماتهم هم..

لغتهم اليومية..

إنّها معاناتهم، خساراتهم، بوحهم، وجعهم، فشلهم، نجاحاتهم، حزنهم، وأفراحهم الصغيرة.

"يَتَكوَّن الكَون مِن قِصَص؛

لا من ذَرات.."

موريل روكسير

إهداء

الصديقة.. الحبيبة.. الزوجة.
الحبيبة.. الزوجة.. الصديقة.
الزوجة.. الصديقة.. الحبيبة.

أحتار أيهما سبقت أو تلت ما قبلها.

مفردات تجمعني بمن اختصرت نساء العالم.
الى حبيبتي، صديقتي ورفيقة دربي.

إلى
سميرة أحمد

(1)
زوجي لعبة تفاعلية..

عَمّي عيسى رافض الزواج، وليوم هو فوق الأربعين، بابا بيقول عنه مجنون وما بعرف مصلحته؛ هو ما تجوز لأنه بعتقد انّه الحياة ورطة كبيرة ومقتنع بهذا الحكي كتير، ودايماً بحاول يثبت للناس صحة اعتقاده.

يقول:

_الناس بتعتقد انّه الموت أكبر مُصيبة؛ هذا الحكي مش صحيح، المصيبة الحقيقية هو انّك تيجي على الدنيا بالولادة.

مرّات نصدق حكيه؛ ومرّات نتهمة بعقله.

لكنه ما كان مخلّي إشي في باله، ما عدى النسوان، ما بعرف كيف كان مدّبر حاله معهم، معارفه كتيره؛ ومعارفه كانو أغلبهم ستّات بتعاملو معه في بوتيك الصبابا في شارع سفيان.

لمّا خطبني نادر؛ أول إشي حكيتله إياه انّه أنا اسمي سالي رغم انّه بشهادة الميلاد اسمي فاطمه، طبعاً هو ما فهم الموضوع وعمل حركة غريبة وقال:

_شو يعني!!

بس لما طبع كروت الفرح كتب نادر و فاطمه، وقتها راحت تروح بينا زعله وفسخ كتاب، بس هو اختصر وغير الكروت.

من لمّا كنت صغيرة، ما أردّ لمّا ينادوني فاطمه، وأقول حاضر إذا سمعت اسم سالي.

لهيك، أنا سالي ، ممش فاطمه..

صار معي مثل ما صار معكم؛ جيتو على الدنيا بدون ما حدا يسألكم إذا بدكم تيجو ولا لأ، وكمان رح تغادروا الدنيا مش بخاطركم، أنا ما ناقشت موضوع جَيْتي على الدنيا، لأنّه ما في حدا أناقش معه هيك مواضيع، بس يكون إسمى فاطمه وما يطلعلي آختار اسمي اللّي حيبقى معي لأموت، هذا لشيء كنت دايماً بعتقد إنّه من حقّي ويمكن تغيره ومناقشته.

الزواج كان موضوع غامض بالنسبة إلي، وبعد ما تزوجت زاد غموضه. بس لمّا ولدت "عبّود"، تغيّر كل شيء تقريباً، بصراح "عبّود" كان فرح الحياة الحقيقي، كان لعبة من لحم ودم، اللعبة اللّي كان نفسي فيها من لمّا كنت صغيرة، لمّا كنت أشوف إعلانات الألعاب لتفاعليه في التلفزيون.

"عبّود" كان لعبة تفاعليّه حقيقيه، بتضحك وبتبكي، بترضع وبتعمل على حالها، ممكن أحممها، البسها ملابس حلوه، اقص أظافرها لمّا يطولو، امشط شعرها، ألمسها لبوسها، أحضنها، أنام أنا وياها...

في بداية الزواج، تغلّبت مع جوزي "نادر" وتغلّبت مع أمّه وخولته وبالخصوص أخته كفاح اللّي كانت مش شايفه حدا غيري، وما تخلّي مناسبة دون ما تقاهرني، طبعاً كان "عبّود" سبب رئيسي في صمودي وصبري، حرنت مرتين، وطلبت الطلاق مرة، بس مرت أخوي عصام قالت لي:

_"يا هبلة وين بدك تروحي، البكريات[1] ما حدا سائل عنهم، كل الزلام متل بعض دبرّي حالك وحكّت كلام وسخ ما بدّي أحكيه.

[1] أي العذارى، اللواتي لم يسبق لهن الزواج من قبل.

طبعاً أنا مش عارف ليش نصحتني هالنصيحة، يمكن كانت خايفة أحرد ولاّ أطلّق وأشاركها في لدار مع جوزها وأولادها. بس كلماتها غيّرت عقليتي، لحدّ ما خطرتلي فكرة جهنميّة، إذا كان إبني عَبّود لعبة صغيرة من لحم ودمّ، ليش ما يكون جوزي نادر لعبة ثانية من لحم ودمّ، الفرق بين عبود إبني ونادر جوزي؛ انّه جوزي لعبه كبيرة وإلها شوارب، وهيك تغيّر كل فهمي للموضوع، ولحلو في هذه اللعبة انّها تفاعلية. يعني بتنام وبتصحى، بتوكل وبتروح على الحمام، بتزعل وبترضى، وأكبر زعلة ممكن تروح بغمزه، بلمسه، ببوسه، بغنجة، برقصة، بريحة حلوة، ببجامة جديده، بطبخة، بفنجان قهوة وحتى بكلمة، ومن وقتها وأنا بتعامل مع جوزي نادر بهذا المنطق، لعبة كبيرة إلها شعر وعيون وفم وبدين، وفوق هذا إلها مشاعر وأحاسيس، وكمان هذه اللعبة إلها أم وأب واخوة وأخوات.

نصدمت بعدها؛ كيف ممكن لهذا الجسم/اللعبة، لهذه العضلات والشورلب كيف ممكن تتحوّل وبحركات بسيطه إلى أي شيء، كيف ممكن يصير هذا لجسم الضخم والصوت والعضلات دميه سهلة الحركه والإنفعال ولتعامل، وكيف يمكن الحصول منها على أي شيء، وكيف بتقدر الوحده تشكلها على خاطرها كيف ما بدها.

في المقابل لازم الوحده تعرف كيف هذه اللعبه بتشتغل، يعني طريقة عملها، وهون الوحده لازم تتعامل معها مثل أي لعبة أو جهاز جديد بتتعرف عليه، لازم تقرأ كتاب التعليمات الخاص فيها، وإذا انكسرت كيف تتصلح، وإذا زعلت كيف تتراضى، وإذا جاعت كيف تشبع وإذا ملّت كيف تسري عنها وتفرحها.

أنا مستغرب كيف في نسوان بتختلف مع أزواجهم، كيف البنات بتختلف مع أبائهن أو أخوتهم الأولاد – طبعا هذه الفكره الجنميّه ما بتنطبق على تعامل البنات مع بعض، سواء كانت الطرف الثاني اختها أو صاحبتها أو أمها أو حماتها أو حتى ضرتها– وكل ما شفت وحده مطلقه أو حردانه، أو مالّة وندمانه على الزواج بقول عنها غبيّة، لإنها ببساطة مش عارفة الدّبر حالها مع جوزها أو أبوها أو أخوها أو حتى مديرها، على اعتبار أنه الرجال كلهم واحد وبدون استثناء، دمى تفاعلية يمكن برمجتها أو تدريبها وحتى تدجينها، الفرق بين الواحد والثاني هو الفترة اللاّزمة للتدريب أو البرمجة، بعض الذكور يحتاج إلى أقل من غمزة عين، والبعض الآخر _ وآسف لأقولها_ يحتاج إلى عمر كامل، منهم جدّي لأمي "أبو عادل"، ستى ما عرفت ادجنه إلاّ في آخر عشر سنين،

لما تقاعد وصار عايش على الأدوية، وكمان لمّا بطّل ينفع زي ما كانت تحكي مرات، وكلمة بطّل ينفع هذه فهمتها بعد ما تزوجت، وقبلها كنت بعتبرها كلمة مجازية بدون معنى.

يمكن عمّي عيسى كان فاهم هذا لحكي قبل الجميع، علشان هيك رفض الزواج ولحد اليوم رفض، بس المستقبل دايماً بخبيلنا أفكار تفاجئنا.

على فكره؛ الموضوع ما إلُه علاقة بالحلاوة أو عدمها، ولو إنّه إذا كانت الوحده حلوه، بتكون مهمتها أسرع واسهل.

أنا صرلي عايش بهذا المود سنين، وبجدّ مبسوطه وسعيده، ولمّا بطّلع على جوزي بشوفه لعبة كبيرة، وعلشان لبقى مستمتعة بهذه اللعبة لازم دايماً يكون في أفكار جديده للّعب، وكمان ما في حدا بخاف من لعبته، بس بخاف عليها تضيع أو تتكسر، يعني لموضوع بدّه اهتمام وحرص وديرة بال.

أفكاري هاي غيّرت بنات كثير بعرفهم؛ بنات خالاتي وبنات عمّي "ناصر" تقريباً كلّهم ساروا على هذا لدرب،

وامورهم ماشية حسب مهارة وذكاء وخبرة الست في إدارة اللعبة، حتى صاحباتي من أيام المدرسة والجامعة، متعلمات وغير متعلمات، نضحك على التلفون وعلى الفيس والوتس أب:

"كيف لعبتك التفاعلية ديري بالك عليها"،

"شو آخر أخبار اللعب".

يعني لحياة الزوجية، وحكي ستات متزوجات، طبعاً ما كان يخلى الموضوع من أحد الأزواج اللّي يكون لعبة صعبة لمرلس، ودمها حامي ولحمها مرّ، يعني تلاقي لست تحاول بكل طاقتها بس لزلمة من النوع النكدي، من النوع اللّي حتى أمّه اللّي جابته ما بتتحمّله، وفي هاي الحالة أنا بتّهم مرته في موهبتها، أو الكيميا تاعتها مش راكبه على كيميا زوجها، أو مش واصلها مفهوم

"جوزي لعبة تفاعلية".

(2)

أمي بتكره الفيسبوك

أمّي عمرها قدّامها؛ فوق الستين، لمّا بجيب سيرة الفيس بتصير تدعي على اللّي صنعه، طبعا تدعي على مارك زوكربيرج، لأنّه في رأيها خرّب بيوت ناس كتيره، ومنها بيت أختي أسمهان.

إبن عمّي رامي؛ كان خاطب أختي أسمهان، وكانوا على وشك يتجوزوا، بس فجأه الولد انقلب وصار ما بدّه أسمهان، بعدها تركوا بعض وراحت توصل للدم بين أبوي وبين عمي جوده. لليوم ولبكره ما بيحكوا مع بعض، رغم إنّه عمّي جوده ما كان راضي عن اللّي عمله إبنه رامي.

رامي إبن عمّي مش متعلم، يا دوب وصّل عاشر، بس هو مسك شُغل أبوه في الحسبه وبسافر على الخليل وجنين وطولكرم وقلقيليه وأريحا ورام الله وبيت لحم وبيت ساحور،

وبيعرف حارات وقرى ومخيمات فلسطين بالوحده، وهو كمان شاطر وَحِركْ، وكمان حَبّوب.

لمّا أجا وخطب أسمهان، كانوا كتير مبسوطين ببعض؛ صحيح هو مش متعلم جامعة وأسمهان معها بكالوريوس كيميا من النجاح، بس كانو مبسوطين ببعض لحد ما رامي مثل غيره من الشباب صار معه ايفون، والأيفون يعني نت، والنت لواحد مثل أشكاله يعني فيس ووتس آب وفايبر، والفيس لواحد مثل نوعيته، هجين ووقع في سلة تين، صار طول وقته على الفيس.

الفيس مثل ما بتعرفو؛ عباره عن سوق ما إله نهايه، البضاعة في متناول الجميع، الناس اللّي عمرنا ما حلمنا نشوف صورهم، صار لفيس يبعتلنا اقتراحات لطلب صداقتهم، وطبعا الفيس ما بيميّز بين متعلم وجاهل، بين كبير وصغير، بين ولد وبنت بين عربي وألماني، وفي وقت قياسي صار عند رامي عشرات بل مئات الأصدقاء، وطول النهار لمّا يشبك نت في المحل عندهم، أو أي محل بيروحه يطلب باسورد الوايفاي، وما يخلي حدا ما يعلّق على بوستاته، وما تفوته حكايه إلا يعملها لايك أو شير، وطبعا صار عنده أصحاب بنات على لفيس، بنات خاله وبنات عمه وبنات

الجيران، وبنات من تشيلي وفزوريلا والهند والعراق والبرازيل والأردن وصار عنده أصحاب من الكره الأرضيه كلّها، أي وحده تعجبه صورتها يبعتها طلب صداقه، وطبعا حول العالم فيه زيّه كثير.

أختي أسمهان متلها متل باقي آمه لا إله إلا الله؛ عندها فيس، وصارت هي ورامي إلى جوار انهم مخطوبين، أصدقاء على لفيس، يعملوا لايكات لبعض، وشير وكومنتس، وتاج، ومنشن وكل هالحكي، طبعا مرّات تصير مشاكل بينهم من تحت راس لفيس، أمي مش فاهمه إشي، بس مش طالع في ايدها غير تدّعي على اللّي صنعه..

-الله يوخذ اللّي صنعه، الله يعدمه عافيته، الله يخسره ماله.

بس هي ما كانت تعرف إنه مارك[2] كانت ثروته تزيد كل يوم، وقريبا رح يكون أغنى أغنياء العالم من ورا رامي وأسمهان وأشكالهم من ملايين المستخدمين حول لعالم.

[2] مارك زوكربيرج، مؤسس ومساهم أساسي لموقع لفيس بوك.

بصراحة ظلّ الموضوع عادي، مناوشات بين تنين مخطوبين، البنت بدّها تدّلع على خطيبها، وخطيبها بدّه يعمل حاله زلمه عليها، وكمان الإثنين بيقيسوا بميّة بعض، وبيختبروا بمزاج بعض، هي بتحاول إدجنّه علشان يصير مثل لخاتم في اصبعها، مثل ما هي شايفه أبوي مثل الخاتم في لصبع أمي، وهو بدّه أياه عبده عند إجريه، ويمارس عليها دور "سي لسيد" مثل ما شايف أمّه بتعامل أبوه، وهذا الإشي تقريباً يصير مع لجميع من مستوى رامي وأسمهان، وبعدها الأشياء بتوخذ أشكال معينه والحياة بتمشي، بس رامي ما ترك الأيام تمشي والحياة توخذ شكلها لعادي مثل باقي لمخطوبين.

طبعاً الصداقه على لفيس بتفتح الأبواب المغلقه، واللّي كنت بدّك سنوات لتوصلّه وتحكي معه، صار على بعد نقره على الكيبورد، على بعد لايك، أو مجرد كومنت، وخصوصاً البنات، يعني إنت علشان تحكي مع بنت خالك مثلاً، لازمك 12 عين تراقب؛ إذا لخوتها أو لبوها واعمامها وخالاتها شايفينك ولا لأ، وعلشان تقول لبنت الجيران إنّه عيونها حلوين؛ بدّك جيش من المراقبين وجرأة بتّين وبساط سحري علشان تعرف تلاقي فرصه ومناسبه تحكي هالكلمتين من دون

ما تعمل كارثه وطنّيه؛ وبعدها يدّخل المختار وشيخ الجامع ورئيس البلديه علشان يصلحوا بين العيلتين لأنه لولد غازل البنت وقلّها قديش الساعه.

اليوم صار أسهل من انك تقوم تشرب وترجع، أسرع من ما تبلع حبة بندول، من إنك تنادي على اختك تعملك بيض عيون علشان تتعشى، صار بكل بساطه تطلب صداقه، تعمل لايك، كومنت، بوك، علشان الطرف الثاني يستوعب شو المطلوب ويستجيب للصدقه أو يطنش ويعمل حاله مش سامع ولا شايف.

رامي صار معه التالي:

مرّه على مرّه شاف بنت خالي ليلى، اللّي ما في بينه وبينها صلة قرابه نهائي، أمّه هو من عيله وأمّي من عيله تانيه، بس ليلي كانت فرند[3] مع أسمهان، وليلى أحلى من أسمهان، وليلى مش متحجبه، وشعرها ساحل وأسود مثل اللّيل، كمان ليلى، بشرتها صافيه مثل الحليب؛ طالعه لأمها، وأسمهان بشرتها مايله للسمار طالعه لأمي، ليلى ضحكتها حلوه مثل ورده الصبح طالعه لحدا مش عارف مين، واسمهان

[3] اصدقاء على الفيسبوك

تقول:

_ربنا هو اللّي كاتبلنا كل إشي.

أقولها:

-يمّا يعني ربنا كاتبلك تعيشي أنتِ وأبوي في النكد والمشاكل والقهر والفقر طول عمرك، وكاتب لخالتي سعاد تعيش في سعاده هيّ وجوزها!

تحتار، تتوتر، وما تجاوب.

أقولها:

-يمّا ربنا ما بكتب إلاّ اللّي بنعمله، ربنا بكتب اختياراتنا وبحاسبنا عليها..

تسأل:

- كيف يعني؟

أقولها:

_يعني ربنا ما خلقنا علشان نمثل دور هو رسملنا إياه وكأنه الحياة تمثيليه. وإلاّ رح تجد البعض يحتج على دوره ويرفض تمثيل دور الضعيف أو دور الفقير أو دور القتيل، أو حتى القاتل، وكمان الناس رح يتهموا ربنا بالظلم، وربنا عادل ومش ظالم.

تقتنع مرات بس ما كان طالع في إيدها تغيّر إشي.

أول نصيب صلب أمي هو زواجها من أبوي، امّي وأبوي ما كانوا متفاهمين نهائي، يعني دايماً طوشات وصراخ، وكانت تمر أيام ومرات أسابيع ما يحكو مع بعض، بس هي كانت تعزي حاله أنّه كلّه مكتوب،

أرجع أقولها في كل مرّه:

_ ياماً حبيبتي شو المكتوب.

تقولي لي:

_ النصيب.

أقولها:

_ مين كتبه؟

تقولي:

_ربنا اللّي خلقنا، هو أخبر فينا، وتسكت.

طبعا هي أكثر وحده كانت مش مصدقه هذا الحكي، مش مصدقه أنه النصيب كتبلها يكون جوزها نِكد وطفران وقليل حيله، وأنّه يكون جوز أختها التوأم (أمي وخالتي سعاد توأم) زلمه إبن عالم ونلس، متعلم ووضعه المادي مرتاح، وكمان هو ومرته بحبو بعض وأولادهم مبسوطين في حياتهم.

بس أمي طبيعتها ما كانت تحسد حدا، تتحسر، تتمنى أنّه الله يغيّر الحال بحال أفضل منه، بس عمرها ما نظرت لحدا نظرة حسد، وبس تقول "اللهّم لا اعتراض".

النصيب الثاني اللّي صلب أمي أنها ماتت صغيره، ماتت مقهوره وزعلانه، صلبها سرطان وماتت في أقل من 3 أشهر، طبعا الجميع رح يقول نصيبها، ممكن أصدق أنه نصيبها لحد ما يكتشف لعلم سبب لسرطان، ورح تشوفو إنه مش نصيبها.

خالتي سعاد، توئم أمي للّي بشوفها بيقول عنها بنت أربعين، طبعاً رح يقولوا نصيبها، بس إذا عرفتوا تفاصيل حياتها رح تعرفوا أنه النصيب ما إله دخل وإنه شمّاعه بنعّلق عليها سوء فهمنا وجهلنا وقلة خبرتنا وقلة حيلتنا.

رح تقولوا أنه الإنسان محجوب عنّه الغيب، وما بعرف القدر شو مخبيله، رح أقولكم ملشيي بس الإنسان عنده عقل لازم يستخدمه، أمي الله يرحمها لمّا شافت ابوي زلمه نكدي وكسول ومش على قدر المسؤوليه كان من أول شهر أول سنه، قالت له طلّقني، أشوف نصيبي مع واحد تاني، لكن أمها اللّي هي ستي قالتلها بالحرف:

_ هذا نصيبك يمّا ولازم ترضي فيه، وربنا يوم لحساب رح يعوضك، وهي صدقت وقبلت، وعاشت أكثر من 25 سنه

مع واحد ما بتحبه، ويمكن بتكرهه، وهذا رح تعرفو بعد 20 سنه من اليوم أقل أو أكثر إنّه مسبب رئيسي لمرض السرطان اللّي صلب أمي وما صلب خالتي سعاد.

لمّا محمد طلبني للزواج، تذكرت النصيب، وفكرت في الموضوع من كل جوانبه، صحيح يمكن ما بعرف دخيلة محمد، بس لمّا تجوزنا كنت صاحيه 24 على 24 وكنت واضحه معه، قلت له بالحرف:

_ الزواج عندي عباره عن شركه مساهمه محدوده بين اثنين همّا الزوج والزوجه، الزوج والزوجه لازم يشتغلوا ليل نهار علشان تربح الشركه، وربحها هو لسعاده والفرح والأيام الحلوه، وإذا الشركة بلّشت تخسر وتنتج النكد، والزعل والهموم والطوشات والمشاكل والمسبات والضرب والفقر، يعني أنها شركه بتخسر، ولازم نفك عقد الشركه وكل واحد من الزوجين يروح لحال سبيله.

ما تفهموا من كلامي إنّي بحرض على الطلاق، أبداً ممكن في البدايه نستشير الخبراء عن سبب الخساره، ممكن نراجع وضعنا ونفهم حقوقنا وواجباتنا، ونبذل جهد إضافي، بس لمّا الشركه وبعد كل محاولات الإصلاح بقيت تخسر معناها الشراكه كلها فاشله ولا تصلح للإستمرار. ولازم الشراكه

تتفك، وإلاّ عمركم سمعتو عن شركه صرلها 30 سنه بتخسر وأصحابها متمسكين فيها ورافضين إصلاحها أو فض لشراكه فيما بينهم. طبعا هاذا مستحيل بس للأسف في الزواج ممكن وخير مثال حالة أمي وأبوي.

محمد فهم هذا الموضوع كويس، وكل واحد منّا أنا وياه فاهمين لحتياجات بعضنا لبعض، كل واحد عارف المطلوب منه تماماً، وهيك شركتنا أي زواجنا بعده قائم وناجح، وبالتالي إنتاج السعاده والفرح والراحه النفسيه مستمر دون توقف.

(4)

ورقة التوت

سَحلت ورقة التوت والعجينة عن حلق الباب ووقعت على الأرض، عيون أمّي وعيون حماتي وعيوني تلاقت جميعها وطلع منهم حكي كثير، بس أمّي الله يديمها؛ كانت واعيه وقادرة، كان في إيدها وحده ثانية جاهزه أعطتني ورقة لتوت الثانية وعليها العجينة وحطت إيدها فوق إيدي وتركتني أسحب إيدي، وظلت هي حاطه إيدها عليها بيجي ست شهور.

أنا نفسي أعرف ليش الأهل بدهم البنات يدرسو في المدارس والجامعات، خلص للصف لسادس وبيكفّي، بس الوحده تفكّ الخط، نكتب أسمائنا، نجمع ونطرح ونقرأ أسماء لشوارع وبكفي.

لأ؛

بدهم نكمّل توجيهي وندرس جامعة، علشان الوحده تقول إنّه اولادها وبناتها كلهم جامعين، وعلشان الأب ينفش

ريشه وصدره وهو بسحب على الأرجيله في لقهوة ويقول جميع اولاده وبناته جامعين.

أشكالنا شو بدها في الجامعة، الجامعة ما نخلقت لأشكالنا، لجامعة نخلقت للي أبوها وأمها وأعمامها وأخولها وخالاتها وجوزها وحماتها وبنات حماتها وسلفاتها واسلافها وجاراتها وجارات خواتها وجارات سلفاتها متعلمين ومتعلمات، وداخلين جامعة كل واحد بزمانه، مش تكون هي متعلمه وكل امّة الله اللّي حولها أميّن أو راسبين صف رابع.

لو حدا يسألني اليوم ويخيرّني كنت بطلّت من المدرسة في لصف السادس أو على أبعد تقدير توجيهي رلسب.

الوحده منا بتعيش 20-25 سنة في دار أبوها، أول 6 إلى 10 سنين تقضيها لعب ومناقرة مع أخوها اللّي أكبر منها بسنه أو اللّي أصغر منها بسنتين، وبتسمع مسبات ودعاوي بعدد شعر راسها وروس خولتها مجتمعات، طبعا هي مع المذّه بتّمسح، وبتبطّل هاي المسبات والألفاظ تفرق معها.

كذابه، هبله، مجنونه، الله يوخذك، لشا الله بتموتي، حيوانه، حماره، كلبه، لخ..

من لمّا تصير سادس لحد قبل التوجيهي بتظل ناقر ونقير هي وامها على الجلي، وتمسيح الغبرة وترتيب التخوت،

ومناقره هي وخوتها وبنات اعمامها واخوالها وعماتها وخالاتها، وبنات الجيران وصاحباتها، ولبنات للّي أحلى منها وأشطر منها في المدرسه والصف والشارع والسوق والعالم العربي ولقارة الإوروبيه وجنوب شرق آسيا..

وكمان على الطالعة والنازله، ديري بالك وله، لف ودوران ما بدّي، وكبسيات عليها وعلى خواتها وحملات تفتيش ليليه ونهارية على غرفتها وجواريرها وكتبها وجوالها إذا معها جوال، ويا ويل أهلها إذا مشطت شعرها بطريقه جديده، أو عملت غره أو عملت إشي شافته على التلفزيون أو على النت، أو حكتلها عنه وحده من صاحباتها، وطبعا إذا بيجي دورها على الكمبيوتر الموجود في الصاله، بتفتح على العلب لبنات وشوي على بارني أو دورا أو أحدث القصات أو على الأبراج وأشياء من هالنوع، لأنه أخوهها أو أبوها بعد ما تقوم عن الكمبيوتر، بيروح على "الهستوري"[4] يشوف شو المواقع للّي شافتها وهي بتعرف هاي الشغلات، بس صابره وتاركتهم يمارسوا هواياتهم لممله.

السنه الوحيده للّي البنت بتشم فيها هوا ربها وبتتنلل وبتطلب للّي بدها إياه هي سنة التوجيهي، وطبعا بتستقيل من

---

[4] سجل المواقع والمواضيع التى يزورها المتصفح.

أخطر وبشع وأوسخ وأبغض حرفه على وجه الأرض وهي الجلي.

المشكله إنها في التوجيهي ما بتكون حاسه بالنعم والإمتيازات اللّي حصلت عليها، لأنه بيكون في مصيبه تانيه فوق راسها اسمه التوجيهي.

كل هذا مفهوم، وبتعيش وبتتكيف على إنه الحياة هيك، وكلّ الناس هيك، وكل البنات هيك، وكل الأبوه هيك، وكل الأخوه والأعمام والأخوال هيك، لحد ما يصير الزلزال الكبير في حياتها وتدخل الجامعة.

هون بثور البركان، ويتبعه زلزل كبير إله بالطبع هزات ارتداديه صغيره، ممكن بعده يصير تسونامي يجبلها الدّور، بتتغير لمفاهيم والآراء والصور. وبتمرّ البنت في مراحل كتيره.

أول أسبوع في الجامعة بتكتشف إنها بشعة، وإنّه كل بنات الجامعة أحلى منها، وبتكتشف إنّه لبسها وقصة شعرها هو اللّي مبشعها، وإذا متحجبه بتكتشف إنّه ربطة حجابها هو اللّي عاملها شبه عمتها فتحيّه، وإذا مش متحجبه بتكتشف إنه قصة شعرها وتمشيطتها هي اللّي عاملتها شبه الحارس اللّي على البوابه الرئيسيه.

وأول سنة بتقضيها طوشات مع أمها، بدها تغيّر كل إشي في حالها، اللّبس والألوان، والحواجب والمكياج والأظافر والكنادر والرموش والحومره والبودره. وطبعاً أمها في بنفسها أشياء كثيره من زمان تعملها بس ما صار نصيب تعملها، بتصير الأم بين نارين؛ إنها ترضي رغباتها الدفينه من خلال بنتها، وإنها تقنع أبو أولادها اللّي نافش صدره ومتجهّز ومتحفز للبنت إذا بتروح هيك ولا هيك.

بس النسوان أذكى من الزلام بكثير، بتتفق هي وبنتها انّه التغيير صعب يصير مرّه وحده، شوي شوي علشان أبوها واخوتها ما ينتبهو، أو يعملولها مصيبه في الدار أو تصير طوشه أو توخذ بهدله، أو يوصل الموضوع لحرمانها من الجامعة.

سنه ثانيه، إذا بتقارن صورتها ومشيتها مع صورتها ومشيتها في سنه أولى بتقول أكيد هاي وحده ثانيه، وبعدها بتصير مثل كل بنات الجامعة اللّي تقريباً كلهم بيشبهو بعض، لأنهم تقريباً لابسات نفس البنطلون، ونفس التسريحة أو ربطة الحجاب، نفس المكياج، نفس الحركات، نفس العادات نفس المواقف، نفس الحكي، نفس المصير، نفس العلامات، نفس

الغيره، نفس العيون، نفس الحومره، نفس الريحه، لأنهم ببساطه بيقلدو بعض، وطبعا هذا الحكي مش بالمطلق بس بنات الجامعة يمكن تقسيمهم إلى 4-5 مجموعات وكل مجموعة مختلفة عن الثانية بس كل مجموعة بتعمل نفس الحركات واللّبس والمواقف.

تقريبا؛ الفصل الثاني السنه الثانيه بتبلّش تتنبه إنه الشباب بطلّعوا عليها لحالها، ومع قرب نهاية الفصل بتفهم إنهم مش مخلين ولا وحده ما بطلّعوا عليها، ومش موفرين ولا وحده، وبدون ما تفهم ولا تعرف السبب، بتبلّش تحلم بالحب والرومنسيات، وتحسد البنات اللّي على علاقه عاطفيه مع حدا، في هذه المرحله بيكون واحد من الدفعة الأكبر منها بلّش يقدم خدماته ويتحركش فيها، وبدون ما تميّز مين هو وشو أصله وفصله وشكله وعيلته وأهله، بتكون بطلّت تنام منيح بالليل، تقلق من خوفها لحدا يعرف، ومن عذاب الضمير وعذاب القبر إذا حدا حسّ، ومن اللّي ممكن يصير إذا حدا صادها بتحكي معه، أو حدا حكى لحدا بيعرف أخوها وأبوها، حاكم البلد قردين وحارس، وما في إشي بتخبى فيها، أو إذا أبوها أو أخوها شافها سرحانه وبتفكر لحالها.

بس بعد شوي ويمكن سنه ثالثه فصل أول بتكتشف إنه الشب بيغازل صاحبتها رئيه اللّي أطول منها، أو زميلتها رجاء اللّي بتحط حومره أكثر على شفايفها، أو ناديه اللّي ما بتخلي إشي ما بتكتبه في المحاضرة علشان يوخذ دفترها ويصوره، أو إنّه صديق لكل صاحباتها على الفيس، ومش مخلي بنت اللّي تارك أفضاله عليها.

بتتجاوز النكسه الأولى ولثانيه؛ وبتكتشف إنه الشباب في الجامعة ناكتين وفاضين، وطفرانين، أشكال وأجسام على الفاضي، وبالصدفه أو بالترتيب لمتعمد، بتصير تتحركش في حارس لبوابه أو شفير التكسي أو صاحب السوبرماركت، أو اللّي بصوّر دوسيات على باب الجامعه، أو اللّي بيعبي كروت موبايل، ولمّا بتتطوّر العلاقه شوي، بتكتشف إنهم ما بيستاهلو اللّي في اجرها.

سنه رابعة ببلش يدق ناقوس الخطر، وزامور الإسعاف، بيكون باقي فصل أو فصلين على لتخرج، وهي عارفه وين رح ترجع، للجلي والمسح والتعزيل والناقر والنقير، وهذا ديري بالك على مالك ومرح حتى نروح على العقبه يومين، وهذيك ديري بالك على تالا وساره حتى نروح على عرس لعبد

ونيجي، وبتصير البيبي ستر لأولاد خواتها واخوتها وعملتها وخالتها والجارات.

وكمان بتصير متأكده إنّه شباب الجامعة كلهم مش تاعين جيزه وبتكون صارت تتعلطف معهم، لأنهم ضحيّة البطالة والسياسات الغبيه، وأنهم بندفعوا ثمن الفساد والكسل والركود الإقتصادي المحلي والعربي والعالمي، وهون بتبلّش تستعرض اولاد اعمامها وعملتها واخوالها وخالتها، وأولاد الجيران، اخوة جيزان خواتها، وأولاد جيران خواتها المتجوزات واللّي على وجه جيزه، تختار وتنقي...

أنا نفسي أعرف ليش أهلنا بدرسونا في المدارس والجامعات، خلص للصف السادس وبيكفي.

الحسره بتبلش توكلها على الكلام الحلو اللّي سمعته طول السنوات الماضية من الدكاتره عن الحرية والعداله وحقوق المرأه والمساواه.. "بيكونوا يستعرضوا علينا بالحكي النظري، العلاقه بين الآباء والأبناء، حرية الإختيار للمرأة، الذمة المالية المستقله للمرأة، وكلام كتير كبير بينسف الـ 18 سنه اللّي عرفت وتعلمت فيهم أشياء غريبه وعجيبه على انها مسلمات وقدر إلاهي لا يمكن تغيره، وخصوصاً الدكتور

المنتصر بالله اسماعيل، هذا بالذات خرّب بيتها وبيت أجيال عشرات من أشكالها، الأخ بيحكي كأنه عايش بفرنسا أو السويد، بيحكي عن حرية المرأة وحرية الرأي والإختيار، وقدرة الإنسان على إحداث التغيير، والأمل والطموح والعداله والمساواه، وإنه الواحد ممكن يغيّر من تصرفاته إذا غيّر معتقداته وآراؤه، وتحدى العادات والتقاليد البالية، كلامك سليم يا دكتور المنتصر بالله اسماعيل، بس غير قابل للتطبيق عنا وفي بيوتنا، مع آبائنا وأمهاتنا وعماتنا وخالاتنا ونسوان أخوالنا. لأنه هذا الكلام بيصير منطقي وصحيح، إذا كانوا اللّي حولنا متعلمين وبفهمو.

وهيك بتكتشف إنّه الكلام هذا صحيح حلو، ومنطقي بس مش لأشكالها، لأنه المتعلمه اللّي بدها تستفيد من علمها وثقافتها، بدها نلس حولها متعلمين، أب أم واخوه وخولت، وأعمام وأخول، وعملت وخالات وجيران وجيزان، وبنات حماتها وحماها وسلفاتها واسلافها واللّي راكبين معها في لسياره، واللّي ماشين في الشارع، والعايشين في العماره والحاره والبلد والمدينه ولدوله.

نسيت لحكيلكم؛ لمّا ورقة التوت والعجينه سَحلت عن حلق الباب ووقعت على الأرض؛ مرت خالي أم العبد، اللّي صارت حماتي، ولما تلاقت عيون أمي وعيوني وعيونها، قالت واسمعتها، وأنا كنت لابسه بدلة العرس والطرحة على راسي، وبعدني بنت، وعروس جديده، وبدون ما يعرفو خيري من شرّي.

قالت واسمعتها:

_الله يسترنا هاي من أولها مش ثلبته.

وهيك ورقة التوت والعجينه قررت مصير زواجي وحياتي للسنوات الجايه، لأنها وحده زي مرت خالي بين قوسين حماتي، رسمتلي مستقبلي وقدري وعلاقاتي بورقة توت وعجينه سحلت عن حلق الباب.

(5)

المسافه بين طولكرم وأمريكا

في ثقافتنا لشعبيه وكمان تربيتنا ، المره مره، والزلمه زلمه.

طبعا العباره ظاهريا ما فيها إشي، حتى بفرنسا المره مرة والزلمه زلمه، ولمرة عمرها ما كان طموحها تصير زلمه والزلمه ما بفكر يكون مره، بس العبره مش في اللّفظ، العبره في لفهم والمعنى.

أنا دعاء، عمري 36 سنه، عندي بنت في الجامعه، وما تستغربو، هذا لأني تزوجت وكان عمري بس 17 سنه، كنّا عايشين في مخيم نور شمس في طولكرم، وأبوي من زمان كان نفسه يهاجر لأمريكا، ومرّه من لمرات اللّي قدّم فيها للهجره زبطت معه وهاجر لأمريكا، وبعدها سحب مرته وبنته الوحيده لموجوده وقتها أنا، بعد هيك كبرت العيله، وصار عدد الأفراد 5 بدون الأم والأب، في أمريكا تعلمت وكبرت لحد ما صرت صبيه، تعلمت في مدارس عرب بس كان إلي

أصحاب أمريكان، ومن جنسيات أخرى، هنود وأفارقه، بس العرب ما كنت أحب أصاحبهم في أمريكا ما بعرف ليش.

لمّا كبرت، وظهرت على جسمي علامات الأنوثه، فجأة انتبه أبوي أنّي بنت، وصار في الطالعه والنازله يعلق عليّ، ويلمّح أني ما أنسى إنّا عرب ومسلمين، وأمريكا وعاداتها وتقافتها ما بتناسبنا ولا عمرها رح تناسبنا.

مرّه قلت له:

_ ليش جيت على أمريكا إذا كانت تقافتها ما بتناسبك، ردع علي وقتها:

_ سدّ نيعك واخرسي.

لمّا صرت 17 وأنا كنت شوي مرحه ولعوبه، وعندي مغامرات، وحركات في المدرسه والحي، شافني مره مع شب مغربي ماسكين في إيدين بعض، بس هو شافنا من هون وعقله طار من هون، طبعا كان بدّه يضربني، أمي ذكرته أنه هو مش في طولكرم او الخليل أو اربد وأنه هو في أمريكا، وأمريكا ممكن بكل بساطه واحد مارق طريق يقدم شكوى للشرطه أنه شاف أب بيعتدي جسديا على بنته بالضرب

وينحبس فيها، فشوي هدي، بس شكله حبسها في نفسه، ولمّا خلصت السنه الدراسيه سافرنا كلنا على عمّان ومنها على طولكرم.

وهاي المره كانت تذكره باتجاه واحد بالنسبه إلي لأنهم رجعوا بعد ما خلصت الإجازه وأنا ظليت في بيت جوزي.

تجوزت أبن عمّ أبوي إياد، وكان بيني وبينه بالضبط 7 سنوات، طبعاً كان في ترتيب وتفاهم بينهم، وأنا كنت آخر من يعلم، سكتت وبلعت كندره.

بالحركه اللّي صارت حصلت على زوج، وبنفس الوقت خسرت أمريكا والمدرسه والأصدقاء والطبيعة والسيارات، والترفيه ورجعت على طولكرم علشان أشتغل بوظيفة زوجه.

ما كان قدّامي خيار، طبعاً أنا اليوم بقول لحالي لو كنت بوعي اليوم، كنت ما رضيت ولا رديت عليهم كلهم، كنت اقترحت على أبوي أنه يتجوز هو إياد، ويقعد في البيت، كنت هربت على عمّان أو بيروت أو أي مكان في العلم ولا بقيت لحالي مع زلمه ما بيربطني فيه غير ورقه اسمها عقد الزواج.

طبعاً إياد بجد ما دخله بكل هذا لموضوع، هو بدّه يتجوز بنت حلوه مثل باقي خلق الله، يناموا مع بعض، تبسطه، تجيبله اولاد تكويله أواعيه، تطبخ، تنفخ، ترقص وتقدم خدمات ليليه كل ما أجا على باله.

وهذا كان متاح، ألف بنت كانت تتمنى واحد زيّه، مصاري فيه ودار فيه، وشباب ومرجله، ومن هذا الحكي.

بس أنا لأ..

أنا بتذكر هديك الأيام وبقول شو اللّي صار، وكيف صار، بس كمان أنا هديك الأيام كنت بسيطه وضعيفه ومش عارفه شو بدّي من الدنيا بس كنت متأكده إني ما بدّي أتجوز إياد، ولا بدّي اظل في طولكرم ولا لوطن العربي كله، وكنت حابه الله يقبض روحي هناك وأندفن في أمريكا سواء اليوم ولا بعد ما يصير عمري 80.

بس مرّت الأيام، وإياد كان يعاملني كويس، كان لطيف إلى درجه كبيره، يمكن بسبب فارق السن، كان يعاملين مثل أخته الصغيره، وكنا مبسوطين بالسرير لحد ما أجت أماني، نشغلت بالدار، وبالزيارات العائليه، ولحكي واللبس والطفله

الجديده، لحد ما قرفت حالي، كان أبوي تعرض لحادث سياره وهو راجع من شغله، وعلى أثر الحادث صار مقعد وبتحرك على كرسي كهربائي، إياد كان بدّه نروح على أمريكا نزور أبوي بس أنا رفضت، كنت مليانه حقد على أبوي وامي، ولليوم ولبكره ما سامحتهم ولا رح اسامحهم.

لمّا بلشت الإنتفاضة الثانيه، كانت وصلت معي الأمور لدرجه صعبه، ودخلت بكآبه حاده، وصرت عايشه على المنومات ولمهدأت، طبعاً أنا بطبيعتي عصبيه، بس الموضوع زاد كتير، كان اقتراح من جاره إلينا الله يمسيها بالخير، أني أدرس، علشان ألهي حالي بإشي، وهون رجعنا للمربع الأول أنا ما معي شهادة ثانوية عامه، وصار الحكي إني أقدّم التوجيهي دراسه خاصه.

كانت سنه حلوه مليانه تحدي، ورجعت أنا بعدها عاديه، وكأنه الغضب ولحقد للّي بداخلي تحول إلى طاقه، ونجحت بالتوجيهي وجبت معدل بالسبعينات.

كان إياد بعتقد أنه الموضوع خلص هون، بس أنا الموضوع بالنسبه إلي بدأ من هون، وصار وجودي في البلد،

وسعادة إياد، وتبساطه، مرهونه بالدرلسه بالجامعه وفعلا ومره تانيه، رضخ إياد لطلباتي، وسجلت في الجامعة تربيه وعلم نفس وصرت أداوم، بس وطول السنوات لتلاث الأولى ولا بني آدم كان يعرف إني متجوزه، وعندي بنت وولد، لحد التخرج، أنا ما خبيت عن حدا؛ بس كمان ما حكيت لحدا. وهيك ظل الموضوع طي لكتمان.

بعد هيك، وبعد ما تخرجت وارجعت أقعد في الدار، رجعتلي الكآبه مره تانيه، وهاي المرّه كانت لسّا أصعب بكثير.

طلبت من إياد إنّ تشتغل، هو رفض وقال:

_إحنا ما عنّا نسوان تشتغل، وكمان مش بحاجه للشغل اتركي الشغل لبنات ونسوان الفقرا، أنا معاي مصاري كتير.

بس هو ما كان يفهم إنه الأيام السابقه راحت مع مطر السنه الماضيه، وإنّه قعود في البيت أطبخ وأجلي وأستنى غيبته على أحر من الجمر، أصبحت من الماضي حتى لو وصل الموضوع للطلاق.

طبعا المره في البيت إذا بدها تعمل نكد ما في حدا في الكون ممكن يمنعها، وكمان بتقدر أنها تتكد على جوزها حتى لو كان مروح وفي إيده جائزة نوب للسلام.

بعد موقفه أعلنت الحرب في البيت، بطلت أطبخ، ولا أغسل، وصرت أتصرف كأني عايشه لوحدي، وصار البيت مزبله، هو كان يعتقد إنه الموضوع مش رح يطوّل، بس أنا ولا على بالي. مش لاني وقحه أو مش مربيه، بس اللّي عمله لبوي وأمي، واللّي عمله إياد، خلاّني مش سائله عن النتائج، أقول في حالي، شو يعني أكثر من قرد ما مسخ الله.

أسبوع والثاني في أوله، اتصل فيّه إياد وقال:

خلص فكينا ، اعملي اللّي بدك إياه.

أنا ما نطّيت في الهوا من فرحتي، لّما كنت متأكده إنّه رح يغيّر رأيه، وهيك رحت على أكثر من مكان وفي أقل من اسبوعين حصلت على وظيفه في شركه خاصه، مندوبة مبيعات. طبعاً هو كان بعتقد أني رح أسجل في التربيه، وانتظر 20- 30 سنه حتى يجي دوري، بس أنا وكالعاده خيّبت ظنّه.

في الشركه وبسرعة لبرق صار اسمي لامع والزبائن يطلبوني بالأسم، طبعا السبب الأول لأني حلوه، وبستخدم أسلحتي الأنثويه كلها في لبيع، خصوصاً مع الرجال، وأكثر مع المتزوجين، وهيك تأكدت مليون في لميّه أنه الزلام كلهم مثل بعض تماماً مثل كاسات الشاي في محلات الأدوات لمنزليه.

إياد بلّش يشكي من طلعاتي، وطبعاً هذا الشغل بحبه، وكانت بالنسبه إلي فرصه أثبت نفسي، أكون صوره غير اللّي رسمها أبوي وأمي وبعدها إياد.

صرت أعرف أسماء مهمه في البلد، وصرت اسافر على نابلس ورام الله وجنين، وصار أسمي ماركه مشهوره، مثل برسيل وسنكرز وبيبسي.

بس المواضيع معي ما كانت توقف هون، وأنا من أيام أمريكا، كنت فري، معنديش عقد وخوف وحذر في التعامل مع الجنس الآخر، بالعكس كنت أنا أبادر وأقتحم، وعارفه أنهم بكونوا خايفين يفتحوا الأبواب مش لأنهم أوفياء لزوجاتهم، لأ، لأنهم خايفين الطرف المقابل يفضحهم، أو يشتكي عليهم.

طبعاً كان شكلي مساعدني، مش مبيّه أني متجوزه وجايبه بطنين، وهيك كل الزلام اللّي تعاملت معهم كانوا ينظرولي إني عشيقه موعوده، أو كاسة كوكتيل يشربوها وينبسطوا فيها وبعدين يروحوا على لدار يتعشوا حمام مشوي أو كوسا وورق عنب عند نسوانهم وكأنه ما صار إشي.

بصراحه أنا من جوّه كنت مبسوطه بالوضع الجديد، لحد ما إن مدير شركه كبيره ما بقدر لحكي أسمها، بلّش يغزل معي على الناعم، وأنه مهتم فيّه ومن هذا الحكي، أنا هون ورغم أني فرحي ومش فارقه معي، بتتوقف كل الأجهزه، وببطل أفهم أو استوعب ، كأنه في شلل بصيب حواسي.

تمنّعت، وبطلت أرد على تلفونلته، وكان تمنّعي مثل وقود يزيد شوقه ورغبته في الوصول إلي، كأني بسكليت، أو فرد ميّ، أو سياره موديل سنتها. هذه الفكره كنت بكرهها، أنه المره سلعه أي حدا بملك ثمنها ممكن يحصل عليها.

المهم لعلاقه تطورت إلى حدود بصراحه ما توقعتها، وهيك لزلمه صار بدكم تقولوا قيس ابن الملوح، وأنا صرت

بالنسبه إله ليلي، بس ليلى قرفانه الزلام كلهم، وهو كمان زلمه في أواسط الثلاثينيات، يعني لو ما تجوزت كنا بنكون مناسبين لبعض.

صار يحكي معي كل مره من رقم موبايل جديد علشان أرد عليه. وعرض عليّ أشياء ما كنت أحلم فيها، هو الأبن البكر لصاحب شركه كبيره وكبيره جداً ومهمه في الشمال، بعطي مفتاح سياره كيا موديل سنتها هديه، بس مقابل أني اقعد أنا وياه نشرف فنجان قهوه في أي مكان أحدده أنا.

طبعاً أولاد أصحاب الشركات الكبيره ولمهمه، صاحبة الأرباح الكبيره لازم يكونوا مدللين، وإذا بدهم إشي لازم يحصلو عليه، لأنه هذا الإشي بعتبروه اختبار لقوتهم الماليه والإجتماعيه ومركزهم في البد، وكمان اختبار لرجولتهم ورجوله أبائهم، وبين صاحب الشركه المهمة ولكبيره اللّي مش رح أحكي اسمها كان واحد من الناس هاي.

أنا قبلت بالعرض، وصرت بدّي أكسر الروتين، بدّي كمان أثبت لنفسي وللعالم على شو الزلام قائمين، في شو

بفكروا، قديش هما أغبياء، وقدّيش ممكن وحده ضعيفه ممكن تهز عرش بيت أو شركه أو حتى دوله كرمال أنها عجبت أبن صاحب الشركه أو وزير الرزاعه، أو أبن رئيس الحكومه أو الدوله أو الأمبرطوريه. كرمال انها غمزته أو ضحكتله أو وعدته ببوسه.

رحنا وقعدنا وطبعا روّحت بسيارة الكيا موديل سنتها، إياد كان بلّش ينجن، من وين وليش ولمين؟

أنا قلت له إنها للشركه، وبالتالي فخرس بس ما صدّق.

شوي شوي رجعت المشاكل بينا وفي الأخير طلبت الطلاق.

هو أكثر واحد صار بعرف أني لمّا بطلب إشي، لازم أحصل عليه، ومرّه هددته أني ممكن اقتل حالي أو اقتله هو، أو أعمل جريمه، وهو كان بعرف أني وحده مجنونه وممكن أعمل أكثر من هيك.

أهلي عرفوا بالأحداث، كانوا يحاولوا يحكوا معي، بس أنا مش هون، كأنهم مش موجودين في حياتي.

الموضوع لوحيد اللّي كان كاسر خاطري هو بنتي وابني، طبعاً أنا بس قبلت أجيب لثنين، إياد كان بدّه عشره، عشرين، وين المشكله عند امّه، بيعملها في ربع شاعه، وبعدها أنا بقعد 10 سنين أعالج في عملته، فمن البدايه قلت له:

_بدّك خلفه كمان روح شفلك نعجه تجوزها، حل عن سماي.

هو مسكين وأنا بشفق عليه، مش ذنبه أنه كان نصيبه وحده شطب مثلي، بس هو كان مبسوط، وبعرف تماما إنّه كان يحب التراب اللّي بمشي عليه، بس حظه زباله بعيد عنكم.

بنتي كان همي أنها ما تطلع مثل أمها. وتتعامل كأنها إشي نجس أو عيب، مثل ما أبوي وأمي عاملوني، وكان بدّي إياها تتعلم، وتبني شخصيتها، بس ما كان ممكن تعيش في بيئه اسريه مستقره وأنا أمها.

المهم إياد وبعد تهديداتي طلقني ، أنا في هذا الوقت تطورت علاقتي مع إبن صاحب الشركه لكبيره اللّي ما بدّي

أحكي اسمها، وبلشت أحكيله عن قصتي، وعرف كمان أني متجوزه واطلّقت جديد.

المفاجأه كانت أنه لمّا عرف أني مطلقه، زاد شغفه ولهفته، وهذا الإشي الوحيد اللّي ما كنت متوقعته، كنت بعتقد أني رح أخلص منه وهيك أنتبه لحالي، بس الأهبل إبن الأهبل لمّا عرف أني مطلقه، فرح كأنه حدا بشره أنه عمره رح يوصل 80 بدون مشاكل صحيه.

وصرنا نروح ونيجي مع بعض، طبعا أنا بالنسبه للمصاري ما كان عندي مشكله، تأجرت شقه في نابلس، والمحترم إبن صاحب الشركه الكبيره هو اللّي دفع إيجارها سنتين مقدماً، طبعاً الأخ كان بدّه يقلبها عش للحب والغرام، ومره كنا سهرانين في اللّيل، وصلّني لباب لشقه مثل الأفلام المصريه، وكان بدّه يدخل يكمل السهره عندي، سكّرت الباب، وقلته من خلف الباب..

_ بالحلال.. أنا ما بحب إلاّ الحلال.

واحد مثله؛ كل ما كنت أتمنّع كان هو يزداد شوقه، وتصير رغبلته تغلي أكثر.

خلصت عدّتي من هون وتجوزنا أنا وابن صاحب الشركه الكبيره والمهمة من هون، المهر والمتأخر كانوا أرقام خرافيه، دفع كلّه بدفع ثمن سندويشه فلافل من عند خميس.

بالنسبه إلي الزلام ما عادو مصدر تبساطي، فقط، تبساطي أني أضحك عليهم، وعلى غبائهم.

الزواج ما طوّل كتير، المحترم إبن صاحب الشركه الكبيره طلع بحب مرته لأنه أبوها عنده مصالح وشركات أكبر من شركة أبوه، وكاين بس بدّه يغيّر جو.

دفع الرقم الخرافي للمؤخر، تنازلني عن الشقه اللّي تأجرها وبعد هيك اشتراها.

وهيك أنا صرت حرّه ومعي مصاري، وتقريباً أشهر وحده في البلد بتشغل في التسويق، والأهم من هيك اللّي طالبينها للزواج عددهم أكثر بكتير من عدد ملوك السعوديه، من المغفور له عبد العزيز وطالع.

(6)

اوسلو عاصمة الضحك على الذقون

أنا عمري ما ضربت حجر، ولا شاركت في مظاهرة، بعد ما تخرجت من الجامعه أواخر التسعينيات رفضت اتغرّب، ورفضت عروض كثيرة للعمل في جدّه ودبي والدوحه، بكره الإحتلال أكثر ما بكره العمى.

عمري ما ضربت مولوتوف على جيب عسكري، ولا احتجيت على وجود الإحتلال، مش لإني جبان أو مش وطني، بالعكس أنا بعشق بلدي وبفديها بروحي، كان أبوي شديد في البيت، ملوش في الأحزاب والتنظيمات، كان همّه يربي أولاده ويعلّمهم أحسن تعليم علشان يطلعوا أحسن منه.

لمّا صارت اوسلو[5] وقبلها لّما قامت الإنتفاضة الأولى؛ كنت ما زلت بدرس في جامعة بيرزيت؛ رغم أنه طلاب

[5] اتفاقيات اوسلو التي أنهت الصراع بين الفلسطينيين وإسرائيل 1993.

صفي اللّي طلعوا بره ودرسوا في جامعات اوروبا ومصر والأردن وحتى العراق تخرجوا وحصلوا على وظائف، كنت وقتها غارق لراسي بالحب والديون، وكانت الجامعات الفلسطينيه مغلقة بأوامر احتلالية، واستمر الحال لحد ما صارت اوسلو.

طول عمرنا بنعرف اوسلو عاصمة النروج، بس بعد سنة 1993 أصبحت اوسلو بالنسبه للكثير من الفلسطينين والعرب، عاصمة إنهاء الصراع بين العرب والإسرائيلين، عاصمة انتهاء الإنتفاضه وانتهاء الإحتلال الإسرائيلي للضفة الغربيه وقطاع غزه، عاصمة الإتفاق التاريخي بين فتح ابو عمّار وبين إسرائيل رابين[6].

لكن فيما بعد صارت اوسلو عاصمة الضحك على عقول وذقون الفلسطينين والعرب. لأنه ببساطه، وزي ما كان يحكي جوز أختي ميسره؛ إسرائيل ضحكت علينا، حصلت

[6] رئيس وزراء دولة الكيان إبّان توقيع إتفاقيّات أوسلو.

على السلام والتطبيع والإعتراف وما أعطتنا غير شويه أوهام.

بس أنا وأبوي والعيله كلها، كنا نكره السياسة والحكي فيها، وماشين الحيط الحيط كل واحد بشغله وبعالمه الخاص.

لمّا صارت أحداث النفق[7] واشتبكت الشرطه الفسطينيّه مع جنود الإحتلال تبيّن للجميع أنّه سلام اوسلو سلام على الورق، سلام وهمي، سلام باربي، سلام مسلسلات كونان، ومش سلام سياسي ولا أمني، وطبعا الأحداث اللّي تلت ما سمّي حينها أحداث النفق غيّر رأي وظن كثير من النّاس حول أوسلو وسلام أوسلو، ومنهم أنا.

طبعاً اتفاق اوسلو قسّم المدن والقرى والمخيمات والأراضي الفلسطينيه لأحرف لغة بلاد العرب أوطاني الأولى (أ،ب،ج) أو الأحرف الأولى للغة الإمبراطوريه التي

[7] احتجاجات ومصادمات على خلفية لحفريات أسفلا المسجد الأقصى سنة 2006.

لا تغيب عنها الشمس بريطانيا العظمى (الإنجليزيه)، (A,B,C) على اعتبار أنّه مناطق ألف هي مناطق خاضعة للسيطره الكامله لحكم الفلسطينين، ومناطق با، خاضعه للسيطره الجزئيه لسلطة أبو عمّار، أما مناطق جيم فخاضعه أمنياً وإداريا لحكم دولة الإحتلال، وهذه المناطق مش مثل ما ممكن يعتقد بعض الناس في الهند والبرائيل أو اوكلاهوما أو صحراء جوبي، إنها مناطق جغرافيه شاسعة على مدّ البصر، أحيانا عشرات الأمتار ممكن تفصل بين منطقتين إحداها خاضعة للسلطه الفلسطينيه، والثانية خاضعه للإحتلال الغاشم.

المهم، من الناس اللّي تغيروا جذرياً أنا العبد الفقير إلى الله، أول شيء نسيت أنّه أوسلو عاصمة النرويج، وصارت بالنسبة إلى عاصمة الظلم السياسي والأمني، ولمّا صارت دوريات الإحتلال تدخل على قلب المدينه صارت أوسلو عاصمة الذل والبهدله، عاصمة الضحك على الذقون، عاصمة الفشل السياسي والأمني، وأول مره وأنا كنت زلمه متزوّج وعندي عياله، ولمّا الجيب العسكري دخل على البلد في عزّ

النهار، ولمّا شفت الشباب بضربو حجار عليه، استنفهتهم، وتذكرت أيام الصبى والشباب كيف كان أبوي رافض أنّه نشارك في الإحتجاجات والمظاهرات ضد جنود جيش الدفاع، مسكت ولد عمره نص عمري، وسالته:

_ يعني شو رح يعمل الحجر تاعك، رح يرجع فلسطين، عرفات والعرب كلهم ما عرفوا يرجعوا فلسطين.

بالحرف قال لي:

_ بعرف إنّه الحجر مش رح يرجّع فلسطين، بس كمان الكلاب هذول مش لازم يدخولوا ويطلعوا وكأنهم فايتين على على حاره من حارات تل أبيب أو نتانيا، لازم يتوجعو، ويحسبوا ألف حساب لمّا يفوتوا على نابلس وجنين وطولكرم ورام الله وغيرها، لازم ما يعتبروها نزهة كأنهم فايتين يوكلو كنافه أو يشترو بزر.

أنا ولأول مره نسيت حكي أبوي، وانسيت فكره امشي الحيط الحيط لأنه كلام الولد اللّي عمره نص عمري أقنعني أكثر.

(7)

كان اسمه أدهم..

أسرع زواج ممكن تسمعوا فيه..

مثل حادث سيارة، مثل مطر شهر سته، مثل زيارات عمتي نهلة، صار كلّ إشي فجأة وبسرعة، طلبني الأربعاء، الخميس عملنا فحص الثلاسيميا في المستوصف وكتبنا الكتاب في المحكمة الشرعية.

ما بعرف كيف طبع الكروت وحجز لصالة، ولا كيف وصل للناس وعزمهم، ويوم الجمعة بعد العشرة بالليل كنت بأحضانه في فندق القصر.

طويل ومش نحيف، بشرته على سمار وطبعه غريب، في شامة كبيرة على يمين منخاره، تقريباً ما إله كتاف، وشعره خفيف، سلّمت نفسي إله كأني مخدّرة، وردّيت على العارفين ببواطن الأمور؛ أبوي وأمّي واخوالي وعمتي نهله.

بيني وبينه 9 سنين، كان 30 سنة وكنت وقتها 21، مصاريه أعمت الجميع عن فارق السن، "الزلمة بما بعيبه غير جيبته"، كانت حجّة عمتي نهله.

وطبعا كان في صلة قرابة بينه وبين جوز عمتي نهله، وشكلها كانت موعوده بهديه إذا الموضوع تم، علشان هيك كانت متحمسه للموضوع وساعدها أبوي وعمّاتي البنات اللّي أكبر من أمي.

عريس كامل مكمّل، بيت وسيارة، بيزنس منيح، واشترى السنه دونم مشجر في أراضي روجيب بدّه يبني قُبالا عليها؛ قالت عمتي نهلة.

من عشر سنين كان صايع وهامل، بس ابن عمته سحبه على أمريكا يشتغل معه في السوبرماركت، والكريم قلّه خذ. هذا كلام أمه لمّا أجت تطلبني، بس الموضوع كان صرله فترة بتحكي فيه عمتي نهله مع أمي وأبوي، وعرفت أنا يوم الإربعاء بس.

معكم الكبتن طيّار أدهم عبد الباقي، أهلا وسهلاً بكم على متن الخطوط الجوية الملكية الأردنيه، أتمنى لكم رحله موفقه، الطائره ستقلع من مطار لوس أنجلوس إلى مطار عمّان الدولي، أتمنى رحله موفقه للجميع.

اسم لطيار ذكرني فيه، كان أسمه على أسمه.

كان اسمه أدهم؛

كان قلبي وقتها مثل قلوب العصافير، بحب الدنيا، بحب الأكل رغم إنّه ما كان باين عليّ النصاحة، طالعة على أبوي، مهما أكل ما بنصح، وكنت بحب أضحك كتير، صاحباتي كانو مصدر فرحتي، بنات عمتي نهله وبنات خالاتي واخوالي العلاقة معهم مش ولا بدّ، أبوي ما كان إله أخوة بس وإله ثلاث خولت، عمتي نهلة اللّي دايماً بتزورنا في أوقات فجائية وغير مناسبة، وعمتي نورة وعمتي سعاد معنا في البيت لأنهم ما أجاهم عريس بستاهل مثل ما بيحكو، الجامعة بالنسبة إلي كانت جنتّي الأرضية، كنت عارف إنّه ليوم اللّي رح تتبخر فيه هذه الجنه قريب، علشان هيك كنت

بستغل كل فرصة وكل لحظة علشان أعيش حياتي وأحوّش ذكريات للأيام لجاية.

درست فنون، ما كنت شاطرة، بس ولا مرة رسبت في ماده، ولمّا رح أتخرج رح اقعد في البيت مثل ما حصل مع اختي عليشه، انتظر عريس الغفلة، لأنه الوالد الله يطوّل عمره حكاها يوم تخرج أختي علوش "ما عنّا بنات تشتغل" لمّا سأله جوز عمتي نهلة وين بدها تشتغل في شهادتها، وكان أبوي قاصد إنّي أنا كمان اسمع هالكلمه.

كان اسمه أدهم؛

وكان قلبي يرقص مثل عصفور لمّا أشوفه، وكنت أخاف صاحباتي يسمعو دقات قلبي ويشوفو انفعالاتي لمّا نكون بنفس القاعة.

كان شهم، كِثِر، طويل، صموت، ورياضي.

أنا بعرف أنّه لبنات لمّا بدهم يلفتو انتباه حدا، ما في شب ممكن يعجزهم، بس هو كان صعب كثير.

كان اسمه أدهم؛

كان مجرد ذكر اسمه يصيبني برجفة، كنت أحب حركات يديه، مشيته، شعره الناعم، تسريحته، كشرته، ضحكاته مع صحابه، جرأته وخجله.

طلبت منه مره يساعدني في تثبيت المشروع على لوح لبسكوت، ساعدني بدون كلام، وكانت تكشيرته أحلى من ضحكة ناس كثير.

ولمّا عملنا مشروع self-portrait في مادة ثنائي أبعاد، وعّلقنا صورنا للعرض، كانت صورتي جنب صورته مصادفة وبدون ترتيب، فرحت وقتها وخبيت فرحي في صدري.

كان اسمه أدهم؛

كان وجوده في الشعبه بفرح قلبي، كنت أسجل المواد بعد ما أعرف إنه سجّلها، في محاضرات النظري أجلس خلفة مباشرة، ومحاضرات العملي جنبه على طول، بعرفش إذا في حدا كان يلاحظ هذا الحكي، بس كان هو طبيعي وكنت أنا ممثلة قديرة.

كان اسمه أدهم؛

وكانت صفحته على الفيس أول إشي بشوفه، كنت بتابع مشاركاته وتعليقاته واعجاباته، كنت بتابع كل حركاته ومشاويره، أتلهف لأسمع أي خبر عنّه. وين ساكن، مين أهله، أبوه شو بيشغل، أمه من عيلة مين، كم أخ وأخت عنده، شو الدخان اللّي بدخنه، والأكلات لمفضله عنده، والعادات اللّي بكرها، والأوقات اللّي بنام فيها، من الآخر صرت مهووسه بواحد اسمه أدهم.

هو للأسف ما كان هون، كان كائن عجيب، وكنت وحده جبانه، بحلم كثير ومش أكثر من هيك، بعتّه طلب صداقه على الفيس، قبل الصداقه، وبعدها رجع حذفني من عنده.

بقيت على هالحال فصل كامل، ولمّا قرّب الفصل الثاني ينتهي، كانت النار بتزحف لعندي، بعد هيك في عطلة، وأبوي بعرفش إشي اسمه فصل صيفي، ولا زيارات للجامعة بدون ما يكون في دوام، وكان يوم تسليم لمشروع النهائي،

وكناّ نعرض بالقاعة المطلة على ساحة الشطرنج، لاحت صدفة صنعها قدر غامض؛ كنا ثلاثة، أنا وهو وأحلام.

أحلام؛ أجاها تلفون طلعت تحكي برة لأنه الإشارة بداخل القاعة ضعيفة، أنا ما كنت محضره إشي في عقلي، بس كان قلبي مثل قدر بيغلي على نار حامية، حسيت أنّه لزمن مثل صخرة كبيرة تتدحرج من قمة جبل عيبال بلتجاهي، وما بعرف كيف وليش ناديته، ناديته كأنّا بنعرف بعض من سنوات، كأنه بينّا علاقة صرلها سنين، ناديته بقوة ورجاء، ترك اللّي في إيده وأجا لعندي.

لأول مرة أجت عيوني بعيونه مباشره، كان أصيل وحزين، قوي وضعيف، حكيم ومجنون. وأنا تركت عيوني تقول اللّي نفسها فيه من زمان.

-"نعم".

أجمل كلمة نعم سمعتها بحياتي..

أرق كلمة نعم حسمعها لعمري اللّي جاي.

كنت واعية إنّي مش أنا، ووحده ثانية لازم تحكي اللّي بدي أحكيه، بعرفش مين هيّ.

كمان هو كان واحد تاني، مش أدهم اللّي بعرفه، والزمن كان الشريك الصعب التالت اللّي بينا.

_"أنا بحبك".

كل كلام لدنيا مرّ على خاطري، بس كله ما كان يمكن يطفي النار اللّي بتغلي بداخلي، كل كلام المقدمات كان رح يكون بايخ وبلا طعم، وكمان فش وقت للمقدمات أو الحكي بالرمز أو بالتلميح. وكررتها:

_"أنا بحبك".

حسيت بتقه عجيبه هبطت على قلبي من وين مش عارفه، هو ارتبك وعيونه تحركت في القاعة كان يدوّر على حدا ينقضه من لموقف .

أنا تخلّصت من حمل كبير كان على صدري، وحسيت براحه، وهو كأنه مسك الحمل وحطّه على ظهره، لحلام خلّصت تلفونها ورجعت على القاعة، وهو ما حكى إشي، بس تركته محتار ومرتبك.

المسا بعتلي طلب صداقه، وتاني يوم ما أجا على الجامعه.

خلص الفصل، وما صار ولا فرصه نحكي أنا وياه.

في الصيف حصل أسرع زواج ممكن تسمعوا فيه..

طبعا سافرت وما رجعت على الجامعه، وما كملت دراسه ولا حتى قدمت طلب تأجيل الدراسه، قالوا لي:

_مستقبل لبنت بيت جوزها، عقد زواجها هو شهادتها الحقيقيه، واولادها مستقبلها الحقيقي، وبعدين بكره في أمريكا بس تستقر الأمور بتدرسي اللّي بدّك إياه، وكمان شو جلب جامعات أمريكا لجامعات هالبلد؟

أدهم ما رجعت شفته، وصار من الماضي.

سافرت على أمريكا، تغلبت حتى طلعلي إقامه، بس عدّي كان بدّه أي وحده، أي بنت تحكي عربي، علشان يتأجر رحمها تجيبله أولاد يحملو اسمه، روحها ما كانت بتهمه.

طِلِعْ عدّي مِثله مِثل كتير من الشباب اللّي مفكره الزواج أكله هنّيه، ملابس مكويّه، ونومه هانيه، ورحم يجيب اولاد وبنات، واخيراً لمره إلها فم يأكل ما يحكي، أو فم يقول نعم وحاضر، وما يعترض.

عدّي طِلِعْ واحد زبله، واطي وكمان ما بيميّز بين الحرام والحلال.

عدّي طِلِعْ، ابن حرام، علاقات مشبوهه، غراميات ما بتعرف حدود.

وأنا، وبعد أقل من ثلاثة شهور وقفت في مفترق طرق، إمّا أنّي أكون جزء من هذا العالم الأسود، وهيك مطلوب أنّي اعطّل أجهزة لسمع ولبصر والوعي، ضميري احطّه في ثلاجه دون الصفر المئوي، أخلاقي اشلحها مثل ما بشلح كندرتي، تربيتي أتخلى عنها علشان سيد لبيت يرضى عنّي، طموحاتي في الدراسه والمستقبل أدير عليها كاز وأحرقها واهتم بمستقبل جوزي حبيبي، ومش بس هيك، لازم أدير بالي على صحته ونزولت عقله وشبابه لجامح، ومراهقاته اللّي ما إلها نهايه، وهيك لازم أشاركه السكر والعربده، وقلة الحيا.

الطريق الثاني أنّي ارفض كل هذا وبالمقابل اخسر أمريكا وديمقراطية أمريكا، وفضائل العيش في أمريكا، وبالتالي أرجع على دار أبوي إيد من قدّام وإيد من ورا، وطبعا وكالعاده، اللّي رح يشتفوا فيّه أكثر بكثير من اللّي رح يزعلوا

على حالتي، وكمان بكون خسرت فرصتي أنه يكون إلي بيت وزوج وعيله مرّه ثانيه، لأنه المطلقه في بلادنا بعاملوها كأنها مخاويه واحد من الجن، أو مصابه بالجذام او الأيدز.

كالعاده، ما حكيت لأبوي، وأمّي وخواتي كانوا يعرفوا طراطيش، وكانوا يطلبوا مني لصبر، بس كان لكلام أقل بكثير من الأفعال، لحدّ ما جاب مرّه أصحابه وسهروا في البيت، وطبعاً شربوا منكر لحد ما طارت عقولهم، كان مطلوب منّي أكون متحضره وأجامل الضيوف، لحدّ ما واحد مد إيده علّي وحضني، دفشته وقع على الطاوله، الكلب عدي ضربني قدّام الموجودين وسبني، والجميع كان يضحك، أنا ما بقدر أمحي 20 سنه عشتهم في بيت ابوي وتربيت على اللّي تربيت عليه، أنا مش روبوت تعطيه أوامر علشان مرّه يصير محترم ومرّه عرص إبن عرص، بعدها أنا طِلِعْ جناني وصار على لساني كلمه وحده ما إلها ثاني؛ طلقني، بدّي أرجع على فلسطين.

كنت للأسف صرت حامل، فكرت كثير أتخلص من اللّي في بطني، لأني ببساطه ما بدّي إشي يذكرني في الكلب

عدي، ولا في أي حدا من أهله، بس اللّي كتب غلب، مثل ما بيقولوا، دخّلوا في الموضوع ناس عرب بنعرفهم، بس أنا كنت وصلت لمرحله ما فيها رجعه.

في الأخير ولحد مثل عَدّي اقتنع انّه وحده مثلي ما بتلزمه، وصار بدّه يخلص مني في أسرع وقت، حجزلي على عمّان، وأنا هلاّ في الطياره.

رجع مره ثانية صوت الطيار..

تقترب الطائرة من مطار عمّان الدولي، الساعة الآن السابع والنصف بتوقيت عمّان، يرجى ربط الأحزمة والثبات في مقاعدكم، أتمنى لكم إقامة هنيئه، كان معكم الكبتن طيار أدهم عبد الباقي.

(8)

"أشفق على الملايين من النساء"

"تعشق المرأة بأذنيها، والرجل بعينية"

سمعتها ذات مرّة في مناسبة لا أذكرها..

أتذكرها وأفكر في الملايين من النّساء اللّواتي لا يحصلن على القدر الكافي من الغزل اللاّزم لمواصلة العيش.

وكأن الرجل خُلِقَ ليقول للمرأة كلاماً يطربها.

في محاضرة الأدب الحديث سألتني إحدى الطالبات، لماذا لا نرى أديبات روائيات وشاعرات بعدد ما نرى من الكتّاب والروائيين الذكور؟

استعنت بضيق الوقت كي أهرب من الإجابة، وتذكرت.

"تعشق المرأة بانذيها، والرجل بعينية".

فإن كانت المرأة هي المستهلك الأكبر لجمال اللغة، فإنّها تشكّل المادة الخام اللاّزمة لإنتاجها، وربما تراجُع الأدب النسائي سببه إلى جوار أسباب أخرى، أنّ المرأة تُحب أن تسمع الأدب وحلو الحديث لا أن تنتجه مباشرة.

وبالنظر إلى ما تعتلش عليه كتابات الأدباء والشعراء، نجد أنها تعيش بكثافة على المرأة بل تكاد تتمركز حول المرأة والعلاقة بها.

فلا شيء يدغدغ مشاعر المرأة كما تفعل الكلمات.

وحده الذهب يمكن أن ينافس كلمات العشق وعبارات المديح على قلب المرأة، فما بالكم إذا اجتمع الذهب والغزل.. عندها تحدث الإنفجارات والزلازل والبراكين، وانقلابات تتسع أحيانا لتغير نظام الحكم أو دستور البلاد.

أشفق على الملايين من النساء اللواتي ليس في حياة أزواجهن متسع كي يقولوا لهن كلاماً يُطرب أرواحهن، فملايين الكادحين من الرجال حول الأرض من عمّال المصانع

والمحاجر والطوبار، سائقو السيارات العمومية والباصات العامة والقطارات والشاحنات الكبيرة، العاملون في الزراعة وجني الثمار، الموظفون الحكوميون، نواب القضاة، المعلمون، المتقاعدون، أصحاب الأمراض المزمنة، أصحاب القروض المتعثرة، الباعة المتجولون، عمال النظافة، الأطباء العاملون، عمال الإستقبال في المطاعم والفنادق، المشتغلون في صيانة السيارات والطائرات والأجهزة الكهربائية والأجهزه المنزلية، الممرضون من أصحاب الخبرة الطويلة.. كل هؤلاء وغيرهم ممن لا يتسع المقام لذكرهم غارقون في كدهم.

هؤلاء الرجال الذين يشكلون أكثر من تسع أعشار الرجال؛ لهم نساء تنتظر عودتهم المسائية، تنتظر أن يقال لها غزلاً يطبب قسوة الجو والعيش ومرور الساعات، لكن هؤلاء الكادحون لا يجدون في الوقت والروح متسع للإطراء، فهم يلهثون خلف أرزاقهم، كي يطعموا أفواه عيالهم، ليسددوا فواتيرهم وأقساطهم، ليس لديهم من الوقت ما يكفي للأحلام

ولا للمديح، لا يملكون الوقت ولا الطاقة للرسم أو التلوين أو كتابة الشعر أو حتى سماعه.

بالمناسبة؛ كلمات المديح من أفواه الرجال لا تحتاج لثقافة رفيعة، ولا تحتاج لخيال الشعراء ولا لمكرهم.

القليل القليل من الكلمات يكفي لإشعال الحرائق، للتزود بالطاقة اللاّزمة لطهي الطعام، كي الملابس، غسل الصحون، تنظيف النوافذ، ترتيب الأسرة، وفي خواتيم الأسابيع والأعياد الإعداد لوجبة ليلية دسمة.

على من يشتكون من برودة أيامهم أن يعيدوا النظر في موقفهم من كلمات الغزل والمديح لنسائهم، فوحدها القادرة على اشعال الحرائق، مزج الألوان، رسم الصور وكتابة الشعر.

الفئة الأخرى من غير الكادحين من الرجال، فهم رجال السياسة والمال وبعض رجال الدّين ، وهؤلاء لا تحسدوا نساءهم عليهم.

رجال السياسة معلّقة قلوبهم بمناصبهم وتصريحاتهم وخططهم، رؤوسهم ممتلئة بحياكة السياسات للتحكم في البقية الباقية من البشر، مهمومون بحركات الجيوش والوزارات والسفراء والمؤتمرات، لا همّ لهم سوى البقاء في مراكزهم والمحافظة على سلطانهم وسطوتهم.

رجال المال والتجارة مشغولون بصفقاتهم وأرباحهم وسفرياتهم، مهوسون بعد نقودهم، وتحصيل شيكاتهم.

بتبديل ثيابهم وسياراتهم، بسهرهم، بسفرهم، بحسدهم، بالوقت الذي يمضونه في عدّ مكاسبهم.

البعض الآخر من كلا الفريقين وجدها فرصة بسبب الوفره أو السلطة أو كلاهما معا؛ ليقولوا كلمات الغزل لغير زوجاتهم، فهم في الغالب مكيافيللين، يعتقدون أن غير نسائهم

هنّ من يستحق تلك الكلمات كي ينال الرضى أو الإعجاب أو حتى مطارحة الغرام.

عالم (بعض) رجال الدين مختلف تماماً، فهو عالم محفوف بالحوريات والكواعب، من اللّواتي لم يمسسهنّ إنس ولا جان، يفكرون في نساء الجنه أكثر مما يفكرون في نسائهم اللواتي أنجبن لهم من يحمل أسماءهم في دنياهم الفانيه.

وحتى يحين موعد لقاء الحور العين، لا يرون في نساء الأرض من تستحق الثناء أو المديح، ويكتفون منهن بإنجاب النسل، تربيه الأولاد، طهي الطعام، غسل الثياب وكيّها، تنظيف المنزل من العناكب والحشرات الضاره، والإنتظار حتى يأتي الموعد المقطوع، يوم لا ينفع مال ولا بنون، يوم الجزاء الأكبر، هناك سيقابلون الكواعب، من لم يمسسهنّ من قبل إنس ولا جان، وهنّ فقط من يستحق الثناء والمديح وحلو الكلام.

(9)

أبو ي بدون مهنه

عاش أبوي عمره كله، بدون مهنه محدده، كنت أتمنى إنّه يكون شفير عمومي، أو سائق باص أو شحن أو حتى سيارة اسعاف، كنت أتمنى إنّه لّحمام، خضرجي، نجّار حداد، موسرجي، وأكيد قبلها تمنيت إنّه استاذ مدرسه، مدير شركه، موظف بنك، رئيس بلديه، وزير سابق، مدير عام متقاعد.

نفسي يكون صاحب مهنة معروفه ولمّا يسألوني أصحابي في المدرسه شو بشتغل أبوك؟

أقولهم حداد، سائق، مدير، أستاذ!

عملياً أبوي كان يشتغل كل شيء، أي واحد بخرب في بيتهم باب شباك تنك، حنفيه، مغسله، بدّه يهد واجهة، يدهن باب، ينظف سدّه، ينظف حديقه، يبعت ورا أبوي. وطبعا أكون أنا حاضر في إنجاز الأعمال، لأني كنت ساعده الأيمن،

المرة الأخيره وعلى أثرها المدير قلي جيب ولي أمرك، كان يحكي عن عذاب القبر، والطلاب خافوا كثير وصاروا بدهم يبكوا، أنا قلت له:

_ كلامك مش صحيح يا استاذ، وأنه لقبر ما فيه عذاب.

طبعاً هو اتهمني بالزندقه، رغم إنّي مش عارف شو يعني زندقه، وقال عنّي مش مربى وأزعر وكمان كافر.

قلت له على سمع ونظر طلاب الصف:

_ طيب احكلي لمّا الطياره توقع في البحر ويموتوا الركاب وما حدا يلاقي جثهم ويوكلهم السمك، أو المساكين اللّي بموتوا في التفجيرات في العراق وسوريا واليمن وغيرها، هاي الناس جثثهم بتتفتت وما بيضل منها إشي، كيف بدهم يتعذبوا في القبر، والهندوس اللّي أهلهم بيحرقوا جثثهم كيف بدهم يتعذبوا في لقبر، ولاّ عذاب القبر بس للمسلمين وغيرهم لأ.

ما خلاّني أكمّل وكمان ما عرف يرّد عليّ، وصار يصيح، هجم عليّ بدّه يضربني بالعصايه، مسكت العصايه

وكسرتها، أجا بدّه يضربني شلّوت هربت فوقع على ظهره، أولاد الصف لقيوها فرصه يضحكوا على الأستاذ من قلبهم، وأنا واحد منهم، نادى المدير وحكى نص اللّي صار، والمدير كالعاده ما سمع النص الثاني، وهيك صفيت أنا أزعر لأني ناقشت الأستاذ وما عرف يقنعني برأيه وكمان ما عرف يرد على كلامي.

وصرت ابن شوارع لأنه المدير طلب أجيب وليّ أمري، وَولي أمري إذا صار جاي على المدرسه بتصير كارثه وطنيّه.

(11)

الدنيا لا تستحق المنافسة

"...إذا نافسك الناس على الدنيا، فاتركها لهم، وإذا نافسك النّاس على الآخرة؛ فكن أنتَ أسبقهم، فإنَّ الله يُعطي الدنيا لمن يحب ولمن لا يحب، ولا يعطي الآخرة إلاّ لمن يُحب..."

الشيخ علي جارنا الباب على الباب، مرته أحسن منّه، وبناته طالعات لأمهن، بس هو معيّش الجميع في جحيم أسمه الحلال والحرام.

.."إذا نافسك الناس على الدنيا فاتركها لهم"..

هاي الجمعة مسك هاي الجملة وطول الخطبه وهو يعيد ويزيد على نفس الموضوع. إلى درجة انّي كنت بدي احكيله وهو على المنبر وقدام الناس كلّها إنك البعيد كذّاب، لأنه جارنا الباب على الباب ومن أكثر من عشر سنين ما

خاطب لسانه لسان أبوي، وإذا طرحنا عليه السلام، بعمل حاله مش سامع.

شو سبب العداوة يا شيخ علي؟

أكيد مش علشان أبوي ما بصلي، ولا علشان عنده أولاد ذكور وانتَ عندك كوم بنات، ولا علشان أنّه أطول منك واكتافه أعرض من كتافك، ولا علشان مرته اللّي هي أمّي أبوها ورّثها قطعة أرض في المعاجين، ودار مأجرتها في شارع المريج ومرتك إنتَ أبوها كحيان وما حيلته ولا سيلته، لأ يا سيدي هذه الأشياء خذها في الإعتبار بس سبب العداوة الرئيسي الخلاف على الإرتداد.

لما حاولنا نتوسع ونبني قلنا للشيخ الإرتداد رح يوكل الأرض، تعال نتفاهم، تعال وقّع في البلدية إنّك ما عندك مانع نبني على حدنا، علشان لما نيجي بكره نبني ما نعارضك، رفض الشيخ وكمان منعنا نفتح شبابيك تُطل على الغرب، أبوي بَيتّلو لياها، بعد سنه ونص بالتمام أجا الشيخ علي يبني، وفعلاً ما شفنا إلا هالخشب والبَنّاية بتشتغل، على حدّه بالضبط دون ارتداد ولا ما يحزنون.

ابوي تلتي يوم ما راح على مصنع الطحينية، وراح داوم في البلدية، اشتكى عليه وما رضي يروّح إلا ومعه موظف من

البدية وقرار بايقاف الشيخ علي عن البناء حتى يرتد عن حده مترين.

وقتها ولعت بينهم، وسبو على بعض والناس تفرجت لمّا شبعت، ومن هذاك اليوم والشيخ ما بحاكينا، ومنع مرته تحكي مع أمي أو تجاملها، وحَرّم على بنلته يحكو مع خواتي، بس مرته أحسن منه، ما كانت تمر مناسبه عامة أو خاصه إلا تجامل امّي دون ما يعرف.

على فكرة، لشيخ علي هذا مش خريج جامعة ولا كلية شريعة ولا حتى المدرسة الإسلامية، حتى أظن انّه ما كمّل الثالث إعدادي اللّي لليوم بيسّموه تلسع، ومهنته الحقيقية اللّي ورثها عن أبوه البلاط، وكمان بّليط مش شاطر، بس غار من ابن خالته الموسرجي أبوعادل واللّي كان موظف في الأوقاف قّيم مسجد، ومهمّة القّيم تنظيف المسجد، والإعتناء بالحمامات وريحتها، طبعا إلى جوار الأذان، بس من لّمّا صار الأذان موحّد، تقريبا الغيت مهمة الأذان وصار القّيم يقوم بدور إقامة لصلاة وفتح المسجد على صلاة لصبح وإغلاقه بعد صلاة لعشاء.

الشيخ علي تواسطه وجوه الخير وصار قّيم مسجد عثمان بن عفان، يوم بعد يوم صار يعرف أكثر عن الدين

وربى لحيته وصدّق أنه صار شيخ بعد ما بلّشت الناس حوله ينادوه الشيخ علي، مرّة على مرّة ضرب صحبة مع إمام المسجد أبو مصعب، وصار بينهم زيارات عائلية، لحد ما صار الشيخ علي بإتفاق غير مكتوب يسد مسد الإمام إذا غلب عن صلاة لصبح أو لظهر، وصار أبو مصعب يسد مسد الشيخ علي إذا قرر الشيخ علي وبإتفاق مسبق إنه ما بده يصلي صلاة الصبح في الجامع.

لمّا سافر ابو مصعب على بعثة الحج صار الشيخ على قّيم وإمام وخطيب المسجد، وطبعاً خطبته كانت شروي غروي، ولناس فلتحه تمها وراخيه بديش لحكي شو، ولا حدى بيعترض ولا بيقول شو اللّي بتحكي فيه يا شيخ.. خصوصاً أنه أغلبهم بيكونو يفكروا بالغدا، شو طابخة المرة، أو وين بدهم يسهروا للّيلة.

ما بتعرف كيف وليش ومتى صار الشيخ على خطيب معتمد في وزارة الأوقاف، بس على عكس المساجد الأخرى الشيخ علي طلب أنه يخطب الجمعة بس في مسجد عثمان، والغريب انها الأوقاف ما عندها مانع، ما دام بيقوم بأكثر من مهمة.

".. إنّ الله يُعطي الدنيا لمن يحب ولمن لا يحب، ولا يعطي الآخرة إلا لمن يُحب.."

أولاً هذا مش حديث ورد عن رسول الله (ص)، ولا هو حديث قدسي، **أكيد في حدا إله مصلحة إنه الناس ما تنافسه**، وهو **أكيد واحد من اثنين يا سياسي يا تاجر**، بس لشيخ كالعاده ومن فوق منبر رسول الله ما وضّح هذا الكلام ورد على لسان رسول الله أو أحد من التابعين، أو أحد وزراء الخليفة الإموي معاوية بن أبي سفيان أو في زمن الرشيد أو قطز أو حتى ورد على لسان شيخ الأزهر أو لسان الشعراوي أو لنابلسي أو العريفي .

قلّي يا محترم، إذا كان ربنا يعطي الدّنيا لمن يحب ولمن لا يحب، ليش ما كنت من اللّي بحبهم ربنّا وأعطاك منها شوية علشان تسد نيعك، وتوسع على مرتك وبنانك. طّيب بدك تقنعني إنّه الله بحبك أكثر من ستيف جوبس[8] مثلاً أو من بيل جيتس[9]، أو [10]ورن بافيت حتقولّي من هذول، من الصحابة ولا من التابعين، ومش حجاوبك، بس لحق مش عليك، الحق علينا إحنا اللّي بنصدق هالكلام وبنعبي فيه

[8] مؤسس شركة أبل، المتخصصه في الحواسيب والأجهزه الذكيه.
[9] مؤسس شركة مايكروسوفت التي تحتكر نظام التشغيل ويندوز على مستوى العالم، وأغنى رجل على وجه الأرض لسنوات عده.
[10] أحد أهم رجال المال، ومن كبار المستثمرين والمحسنين في أمريكا.

روسنا ومقنعين حالنا أنّه كله ابتلاء من الله، وجنتهم همّا على الأرض وجنتنا إحنا فوق في السما.

انتو الشيوخ اللّي عبيتو روسنا من لمّا كنا صغار كلام جبلنا الدَوَر، خليتونا نقبل فقرنا وجهلنا وهبلنا وقلة حيلتنا، وطبعا أهلنا من قبلنا سبقونا على طابور الفقر والهبل وقلّة الحيلة.

شو معنى إنّ الله يعطي الدنيا لمن يحب ولمن لا يحب ولا يعطي الآخرة إلاّ لمن يحب.

طّب شو عَرّفك إنّه الله بيحبك وأنّه أعطاك الآخرة؟ هل لأنك فقير؟

طيب روح شوف الفقراء اللّي بموتو من الجوع، بعرفوش القبلة، وعمرهم ما سجدوا لله سجده وحده.

وشو عرّفك أنّه "ورن بافيت" مثلا ما يكون قاعد جنبك على طاوله واحده في الجنه، أو أنه يكون في الجنة بتفرّج عليك وعلى أمثالك وهما في النار، حنقول ليش حقولك لأنه "ورن بافيت" اللّي مش عاجبك ولا داخلك من زور لتبرع بثروته اللّي بلغت، بس امسك أعصابك قبل ما أقولك الرقم لأنه أشكالك متعودين على الألف والألفين على أكثر تقدير، وأكبر مبلغ حملته بإيديك في حياتك كلها كان 25 ألف دينار اردني لمّا بعت الأرض اللّي ورثتها من امك في آخر مخيم

عسكر، وضحكت على خوانك وأعطيت كل وحده منهم 1200 دينار أردني، ولمسكينات بلعن كندرة وسكتن حتى ما يكون رفضهن سبب في قطيعتك، لأنه عارفلك وعارفات أخلاقك وحبك للدنيا، وعدم رضاك عن ما كتبه الله لك.

نرجع لـ "وارن بافيت"، هذا الزلمة اتبرع (زي ما حكينا امسك أعصابك بلاش يجيك فالج)، بكامل ثروته اللّي أكثر من 25 ألف دينار، بس كلمة أكثر زي كثير من الكلمات بتخدع، الرقم 30 مليار عارف يا شيخ المليار كم صفر، عين الله عليك تسع صفار، مش عالشمال عالى اليمين، يعني يمكن يكون "وارن بافيت" و" بيل جيتس" وأشكالهم من أصحاب اليمين، لأنه يا روحي هاي العشر أصفار وجنبهم على اليمين ثلاثه، مصاري وبالدولار، تبرع فيهم 'بافيت" اللّي مش داخلك من زور لصالح مؤسسة جيتس علشان أطفال أفريقيا وأسياء وكل المشحرين اللّي حكوماتهم ما وفّرت إلهم تعليم أو علاج، أو حتى ميّة نظيفة يشربو، تبرعت فيهم الموسسة لصالح أنه هاي الناس تعيش بكرامه.

اوعى تحكيلي إنهم مش بشر، أو إنهم مخلوقات الله ما خلقها، لأنه بجد بقلبها زعل بيني وبينك لآخر لعمر.

نرجع لموضوعنا، كيف يعني أنه الله يعطي الدنيا لمن يحب ولمن لا يحب مش فاهمها، يعني أنتَ و بافيت وجيتس

وجوبس وغيركم بيحبكم الله بنفس الدرجه ولا بيحبك إنتَّ أكثر، طيب تعال نحسبها، مش ورد أحب الخلق إلى الله ارأفهم بعباده، إلاّ إذا في اعتقادك إنّه سكان أفريقيا خلقهم رب ثاني، وليسوا من عباد الله، طيب مين قدّم للإنسانية وخدم البشرية أكثر ؛ إنت! ولا جيتس؟

الأكيد أنه جيتس لأنه عمل للإنسانية أكثر مني ومنك ومن شيخ الـ...، ويمكن يكون من اللّي الله بيسخرهم لمساعدة خلقه، علشان يجعلو لحياة سهله وممكنه لبعض خلقه في الأرض، وانت يا شيخ حتى مرتك وبناتك المسكينات مصّعب حياتهم بدون سبب وداعي، وبتمنين ليوم قبل بكره الله يرزقهن باولاد الحلال ويتجوز؛ حتى يخلصو منك ومن عُقدك وتناقضاتك.

(12)

كان نفسي أتجوّز هندي[11]

كان نفسي أتجوز هندي، روسي، يوناني، ماليزي، تايواني، هنجاري، بس مش عربي.

كان نفسي أتجوز عراقي، مصري، جزائري، لبناني تونسي، سوداني بس مش فلسطيني.

كان نفسي أتجوّز خليلي، قدسي، حيفاوي، فحماوي، ريحاوي، بدوي، بس ما أتجوّز ابن عمّي.

عارفين وين المشكلة؟

المشكلة إنك تتربى في بيت؛ يكونو أبوك وأمك بحبوك وبعاملوك كتير منيح طول لـ 20 أو 25 سنة الأولى، منهم طبعا عشر سنين أو أكثر الواحد ما بيكون أول 10 سنوات منهم مش صلحي ولا بميّز بين المعاملة العاطلة والمنيحة،

---

[11] ملاحظة: وجدت هذه الرسالة/ الخاطرة، أو أي شيء يمكن أن نسمونه، في حاوية القمامة، بعد تنظيفها أعيد نسخها وتبيّن أنها تعود لسيدة فاضلة، تعيش في مدينة نابلس.

وبعد هيك تتبلي في واحد زي اللّي انبليت فيه أنا، واتعيش بقيّة عمرك اللّي ممكن يكون ضعف أو ضعفين أو ثلاثة أضعاف لعمر اللّي عشته مع أبوك وأمك.

مين حكا إنّها لعربية لازم تتجوز عربي؟

مين قال إنّها الفسطينية لازم تتجوز فسطيني؟

مين قرر إنّها بنت العم لازم تتجوز إبن عمّها أو إبن خالها أو إبن خالتها؟

ومين أمر أنه أنا لازم أتجوّز ابن عمّي اللّي ما بعرف عنه غير إنه كان محبوس ست سنوات، وبعرف بكل ذرة من ذرات قلبي وعقلي إنها أمّه لا بتحبني ولا بتحب أمي، ولا رح تحبني في يوم من الأيام؟

ومين قرر انّه للّي بتتجوز من بلد لبلد؛ ممنوع تشوف أهلها واخوتها وخواتها إلا في الخمس أو العشر سنين مرّة؟

ومين اللّي قرر إنه لازم أصبر على حالي حتى يريد الله.

أنا يا عالم ولدت في لكويت في عيلة كبيرة، الأخوة والخولت بحبوا بعض، بموتوا على بعض، بشتاقوا لبعض، ولمّا صدّام احتل الكويت، هربنا وجينا على عمّان.

درست صحافة في الجامعة الأردنية، وكنت بكّمل ماجستير، قرأت كتب في حياتي بعدد شعر راسي، قرأت لكتاب مهمين مثل دوستوفسكي، أميل زولا، مكسيم غوركي، غسان كنفاني، جورج طرابيشي، نزار قباني، تشكوف، إلياس خوري، محمد شكري، اميل حبيبي، بلزاك، تولستوي، شكسبير، يوسف ادريس، توفيق الحكيم، نجيب محفوظ، سارتر، البير كامو، تشاينبيك، جبرا ابراهيم جبرا، ادوارد سعيد، هشام شرابي، يحيى حقي، حنا مينا، نوال لسعداوي، عبد لرحمن منيف، أحلام مستغانمي، محمود درويش، وكثير من الأسماء اللّي راحت عن بالي لأنه أبوي الله يسامحة كان يشجعني على القراءة وكلّه طلع على راسي.

أبوي ما فيه مثله؛ بس في موضوع الزواج كان مخّه مصدي، وأنا بدرس في الجامعة وبعد ما خلّصت بكالوريوس تقدم لي خمسه، بس ولا واحد منهم أعجب أبوي، لأنه ولا واحد منهم فلسطيني، وكان في واحد منهم فرنسي من أصل جزائري، مسلم وبيحكي عربي بيشتغل في السفارة الفرنسية بعمان، تعرفت عليه في معرض للفن التشكيلي في المركز الثقافي الفرنسي، حلم كل بنت ترتبط بواحد مثله، ثقافة وعلم، خبرة ووسامة، مركز وأناقة وحضارة، بس مش فلسطيني.

طبعاً وحده متلي بنت أبوها ما بتقدر غير تقول حاضر، صار عمري 26 سنة، أمي وأبوي حاسين إني عنّست وإنها راحت عليّ، أنا بيني وبين حالي ما كانت فارقه معي، بالعكس الزواج من شخص غير مناسب هو اللّي حيكسر خاطري، أنا صحفية ومثقفة ولمّا تيجي الفرصة ممكن أكون صحفية أو مراسلة أو إعلامية يشار لها بالبنان متل ما بيحكو.

بس أمي وأبوي كانوا يتعاملوا مع الموضوع كأنها مصيبة راكبيه عندهم في البيت، وكل يوم عن التاني بتكبر أكثر، لحدّ ما أجا عمّي أبو غالب من الضفة الغربية وزارنا.

طبعاً جاب معه تنكة زيت وتنكة زيتون، وكيس ميرمية كبير، ونص تنكة جبنة نابلسية، وكيلو ونص زعتر بلدي.

أبوي من بعد ما هربنا من الكويت سنة 91 علاقته بأخوه أبو غالب بلّشت تتراجع، ومرّة من المرات على التلفون سبو على بعض؛ طبعا بسبب الأملاك والأرض والزيتون والزيت.

المهم عمّي أبو غالب كان يشبه الممثل الأردني حسن إبراهيم في دور مزروق في حارة أبو عوّاد، طويل لابس حطّه وشماغ، بنطلونه دايماً ساحل تحت خصره، خدوده ذايبه

ومليانه بثور قديمة ممكن آثار حب شباب أو حصبه، وشواربه على شكل مستطيل رفيع تحت أنفه مثل شوارب هتلر.

أبوي استقبله بالأحضان، ونسي خلافهم القديم، أمي بشّت وهشّت وكانت طابخة ثلاث دجاجات محشية وصنية لحمة رأس عصفور مع بامية، وشوربة ملوخية ورز مفلفل، طبعاً أنا عرفت أنه جاي لمّا صحيت من النوم على العشرة وربع، كانت أمي بتعرف من يومين. لمّا سلّمت عليه كانت نظراته غريبة كأنه بيقيس كل إشي فيه، ولمّا كنا نتغدي وهو يحكي مع أبوي كانت عيونه طول الوقت تلاحقني.

خلّصنا الغدا، وطلبوا شاي، أبوي وعمّي دخنوا كل واحد سيجارة مع الشاي، وفجأة وبدون مقدمات عدّل عمي جلسته على الكنباية في غرفة السفرة وبدون مقدمات ولا تمهيد وقال:

_" أنا جاي أطلب لإبني من عندك.

رنّت كلمته في ذني كأنها صافرة إنذار حريق، كنت بمسح شرشف الطاولة.

ضربت عيني عليهم، أبوي ما كان باين عليه المفاجأة، وكان في فرح بوجهه مش جديد، بعدين عرفت أنه كان الموضوع مرتّب، كأنه أبوي دلل علّي عند عمّي علشان ابنه يتجوّز البنت اللّي فاتها قطار الجيزه.

أول مرّة اختلفت أنا وفارس ضربني على وجهي كف، وعايرني أنه هو ما طلبني، أبوي أنا اللّي طلب إيده إلي، بس كله عادي، بيصير في أحسن العائلات.

لمّا سمعت كلام عمّي زي ما نكّب عليّ ميه بتغلى، مثل ما تفتح باب الشقه وتشوف بقره هولنديه واقفه على لدرج، مثل ما تركب في باص المؤسسه ويطلع الملك هو اللّي بسوق الباص، أبوي ما عنده حدا للجيزه غيري، نَها بعدها في السادس، ورانيه مخطوبه لإبن شريك أبوي في مزرعة الجاج أصله من عرابة في جنين، أسمهان مجوزه واحد من قرى لقدس مش عارف شو اسمها، اعتدل فش أمل تتجوز لأنه عندها إعاقه. يعني أكيد قصده عنّي، وهو لمين بدّه يخطبني نشاء الله؛ للمحامي، ولاّ للدكتور ولاّ للمهندس، ولاّ الصحفي أو حتى رجل الأعمال إنه، هو عنده ولدين، غالب في السعودية والمحروس المناضل فارس، اللّي انحبس عند اليهود 6 سنوات بعد ما قتل واحد كان مشكوك في أمره إنه عميل في الإنتفاضة الأولى.

تركت المنشفة من إيدي على الطاولة، وانسحبت على غرفتي، واسمعت ضحكتهم من وراي.

أبوي هذا اللّي بدّه إياه، فلسطيني وبن عمّي، والضمانه عمّي ومرت عمّي اللّي بعرف إنها ما بتحبني ولا بتحب إمي.

مذيعات لجزيرة والعربية والفلسطينية والعراقية ولسومرية والبابلية والآشورية والمصرية وللبنانيه والصينية والهندية والفرنسيه والكوريه بشو أحسن مني، مش شايف أنهم أقدر منّي ولا أحق منّي في اللّي هنا فيه، ناقصني شوية حومرة وبودرة، ورموش صناعية وبصير ستهم، بس لازمني كمان لّب زي أبوتهم، لازمني إراده مثل إرادتهم، ويمكن لازمني إيمان وقوة أكيد أمي ما علّمتني عليها.

صحيح في مثلي كتير بنات، ويمكن تكون مثل هيك فرصة بالنسبة إلهم فرصة عمر، بس وحدة صرلها أكثر من عشر سنين بتقرأ كتب وبتعبي راسها كلام كتّاب وشعراء ومفكرين كيف بدها تقبل هيك جيزه، كيف بدها تتعامل مع شريك العمر اللّي هو زي ما بتحكي أمّي النصيب المكتوب في اللوح لمحفوض، وما في حدا بيوخذ غير نصيبه، طيب في نصيب أجالي بسوا عشرين مثل فارس؛ ملحق ثقافي في السفارة الفرنسية في عمّان، مسلم وبحكي عربي، ولّبوي رفض هذا لنصيب، كأنه أبوي بقرأ المكتوب في اللوح المحفوظ وعارف إنه مكتوب فيه أنّه فارس إلي وأنا لفارس.

ما كان في مجال لتأخر في لرّد، لأنه عمّي شبه مرزوق في مسلسل حارة أبو عواد لازم يوخذ جولب قبل ما يروّح على الضفة.

وأنا بنت مش لازم تخالف رأي أبوها لأنه اللّي فيه مكفيه، وأنه لنصيب غلاّب.

حاولت أقنع أمي أنه مش الشخص اللّي بيناسبني، – طبعا مش أنا اللّي تقول مش الشخص اللّي بحلم فيه– حاولت أقولها على الأقل أمه ما بتحبنا ولا رح تحبنا، حاولت أترجاها تأجل الموضوع بس لخلّص ملجستير بيكون قدرت أقنعهم، حاولت أقولها أنهم حيدفنوني بالحيا هناك، حاولت أحكيلها أنكم بعتوني برخيص، أني ما بعرف حدا، أنه حنحبس هناك مثل بنت أخوها لمرت خالي اللّي تجوزت واحد من طولكرم وصرلها 7 سنين ما شافت أهلها، لإنها راحت بتصريح زيارة وخالفت، لانها بتنتظر لَمّ الشمل، حاولت أقولها انّه فارس شخص غير متعلم وجاهل، حاولت أقولها أني مش بحبه ولا راضي أنّه يكون زوج لأولادي.

حاولت.. حاولت.. حاولت..

بس كلّه على الفاضي، كانت متأكده إنها الفرصة الأخيرة والوحيده اللّي مش لازم أضيعها.

فكرت أنتحر، فكرت أشتكي للملك، فكرت اشرد على سوريا، فكرت أروح على احدى الكنائس أترهبن، فكرت إنّي أطلب اللجوء السياسي في كوريا الشماليه أو روسيا أو لسويد.

بس للأسف الجرأة هاي كان من حظ ناس ثانين غيري، ناس علّموهم أهلهم من همّا صغار يتحمّلوا مسؤولية حالهم، مش ناس قليلي الحيلة خايفين من كل شيء، خايفين من الماضي والحاضر وكمان من لمستقبل.

أبوي دق على الباب مرتين، أمي قالت له:

_اطلعوا صلّوا لعصر بزّه.

طلع هو وعمّي صلوا العصر في جامع الحسين وتمشوا في البلد، وكمان علشان عمّي بيحب يشتري الحطات من عند أبو مهيوب في السوق اللّي جنب الجامع.

بكيت، لطمت وجهي، صيّحت، دفنت راسي في المخده.. وأمي صارت تصيح وتولول، بدك تفضحينا، أبوك ما صدّق حدا يطلبك بعد ما فلت ميعاد جيزتك. وحكت كلام وأشياء كتيرة ولأول مرّة جرحتني فيها، وهددتني أنه هالمرة حتجيبي آخرته لأبوك، وفهمت منها وعلى عينك يا تاجر إنّه أبوي معطي كلمة مبدئية لعمّي، علشان هيك هو أجا من الضفة، وهالمرة بتروح بينهم أبديه.

وفهمت منها إنّه الموضوع منتهي.

_ طيب ليش بتسألوني إذا الموضوع منتهي؟

سألتها؛

ردّت:

_لأنه لازم نسألك، ولازم توافقي، إحنا أخبر منك بالحياة، وبكره بتعرفي هذا الإشي وبتشكري الله على اللّي بنعمله.

ما أخذ الموضوع أكثر من سنه، وعرفت إنّه اللّي عملوه ما بستاهل الشكر، وإنهم كانوا مش أخبر منّي بالحياة لأنهم ببساطه ما كانوا بعرفو اللّي بدي إيّاه. وإنّه فارس واحد نذل وتافه وما بستاهل ظفري.

زوّج عمّي أبو غالب، والموافقة بجيبته وصار مطلوب البحث في التفاصيل، إيمتا الفرح، كيف ووين بدنا نكتب الكتاب علشان يطلبني زيارة ونتزوج.

مرّ أسبوع أو أكثر وصار الحكي أنّه فارس وأبوه وأمه بدهم يزورونا بعمان علشان كتب الكتاب.

هون أنا بلّشت أتعامل مع الموضوع تحصيل حاصل، وأفكر كيف أحصل على امتيازات، آخر لشروط الموضوعية اللّي ممكن الوحده تحصل عليها هي المكسب الحقيقي.

لمّا شفت فارس كانت المرة الأولى بشوفه فيها من أكثر من 10 سنوات، من لمّا كنت بالإعدادي لمّا زرنا فلسطين، فارس اليوم غير فارس زمان، راسه صغير ومش متناسب مع جسمه، عيونه أصغر إشي براسه، كأنهم حبتين زيتون سود بدون لمعة، بيحلق شعره على الصفر تقريباً وآذنيه أكبر من الآزم، الأهم من هيك ما بحكي كتير، وإذا حكى ما بتفهم على حكيه، في بكلامه تلتأه، الموضوع صار يكبر براسي، في اللّيل فكرت أنتحر، أنط من البلكونه، اشرب علبة دوا أمي كلها، فكرت أشرد، وين أروح بس على الفاضي أنا أجبن من إني اعمل أي شيء، وهيك مرّ الموضوع، وصار أمر لا بدّ من تقبله، هون بلّشت اتّبع استراتيجية جديده، استرايجية فرض الشروط طلبت أنه الزواج ما يتم حتى أكمّل ماجستير، فارس انتفظ متل حدا سب على أبوه، أبوه لكزه وغمزه هو وأبوي، قالوا:

_ماشي، إحنا بنكتب الكتاب وبنقدم على طلب الزيارة، وهذا مرات بطّول، ومرات كتير برتفض، بدنا نقدّم على طلب لزيارة حتى نحصل عليه، بتكوني انتِ خلّصتي اللّي بتقولي عليه.

قلت:

_ إلي طلب ثاني.

ردّ عمّي اللّي بشبه مرزوق في مسلسل حارة أبو عّواد، وقال ادللّي:

قلت:

_ بدّي اشتغل.

هون فارس ردّ وقال:

_ هاي عندي، أنا بعرف ناس كبار في البلد، وإلي وزني والشغل عنا فش أكثر وأسهل منه.

قلت:

في طلب ثالث:

تبادلوا كلهم النظرات وما خلّيت حدا يحكي قلت:

_ بدي أسكن في شقه لحالي.

هون انفجر الوضع، كشّرت مرت عمي عن أنيابها، وعمّي طال سيجاره وولعها، وفارس ما حكا إشي.

تبادل عمّي ومرته نظرات عرفت فيما بعد مغزاها، ردّت مرت عمّي:

_ الله كريم يا حبيبتي؛ بكره الله بكرمكم وبتشتروا دار لحالكم، بكره بتشتغلي وبتتعاوني أنت وفارس وانشاءالله؛ الله بيعطيكم وبتبنوا فوقنا أو بتشتروا دار لحالكم، بس لحد ما ييجي اليوم الموعود إنتي عندي، وضمتني لصدرها، لحد ما كنت بدّي أختنق من ريحة عرقها.

شو بدكم في التفاصيل الممله سافروا من هون، فش شهر اتصل عمي يطلب تجهيز لعروس لأنه تصرح الزيارة طلع، وأول ضحيّة كان الماجستير، قالوا لي:

_ روحي شهر وبترجعي لتكمليّ، كانت فترة تسجيل للفصل الثاني، رحت أجّلت الفصل، وكان الفصل الأول والأخير هو الفصل اللّي جبت فيه أعلى وحده على الدفعة وبجميع المواد، الدكتور حاتم رئيس القسم قال لي:

_ إذا علاماتك كلّها هيك، ممكن تتعيني عنا معيده. كان الماجستير أول ضحيّه.

عملولي فرح صغير بعمّان وفرح كبير بنابلس، مرّت فترة لشهر والشهرين، جددّولي التصريح مرّة وثنتين وثلاثه، ولمّا قلت بدّي اروح على عمّان الكل صرخ بوجهي:

_إنتِ مجنونه؟ وين بدّك تروحي، انتِ صرتي مخالفه.

_شو يعني مخالفه؟

_ يعني تجاوزتي المدّه المسموح فيها للإقامة، وصار لازم تغادري، وإذا غادرتي، بدّك واسطه أكبر من الوطن لعربي حتى ترجعي مرّه ثانيه.

هون عرفت الفخ اللّي نصبولي إياه.

وهون أنا انقلبت لوحده مجنونه ما بدها تعيش في هذا الجو الممل والحزين، وحده صارت عايشه في الدنيا، مهمتها الوحيده وهدفها الأكبر إنّها تكون متجّوز ولحد شبه أهبل!

حاولت ازعل طنشوني، حاولت آحرد؛ ما في حدا آروح عنده، حاولت آهرب؛ الجواز عمّي أبو غالب من أول يوم آخذه في عهدته.

وين آروح، مرّت أيام كثيرة أنام طول النهار في التخت دون آكل وشرب في الغرفة الحزينه اللّي تعطفت مرت عمّي واعطتني إياها، لحدّ ما كبر الموضوع وبلّشت اسمع المسبات بإذني، واسمع اللعنات على اليوم اللّي عرفوني فيه.

طلبت اشتغل بمكن يخفف الشغل عنّي؛ وعدني فارس يبحث الموضوع، ورجعت الحياة شوي ألطف على أمل اني أشتغل بالصحافة، بالراديو بالتلفزيون بالبلديه، بمجمع بالكراجات الشرقي، في لمقبره الغربيه، بس مرّ شهر واثنين وثلاثه وعرفت انّه فارس ما بعرف حدا، وإنه بعرف بس اللّي زي أشكاله.

طبعاً كان رهانهم إني آحبل وأنشغل بالأولاد، وفعلا آجا عصام، وآجت نغم، بس اليوم أنا وحده محطمه عايشه بدون أمل، أهلي ما شفتهم صرلي خمس سنين، اخوتي مشتاقه

اشوفهم واشم ريحتهم، أمي بعرف إنها الندم ماكلها من جوا، أبوي ما بعرف إشي، وأنا ما عاد في بحياتي يربطني بهاي الدنيا غير لقراءة لحد ما الله يريد، وبكرر في سرّي كل يوم..

أتمنى من قلبي لو أنني تزوجت هندي، روسي، يوناني، ماليزي، تايواني، بس مش عربي.

أتمنى من قلبي لو أنني تزوجت عراقي، مصري، جزائري، لبناني تونسي، سوداني بس مش فلسطيني.

أتمنى من قلبي لو أنني تزوجت خليلي، قدسي، حيفاوي، فحماوي، ريحاوي، بدوي، بس مش ابن عمّي.

(13)

الحسن أخو الحسين

لمّا بشوف بنات عمّي حسين، كيف بلبسوا شو باكلوا، الأجهزه لذكيه اللّي معهم، غرفهم، أدواتهم، ألعابهم، وين بسهروا، المدارس اللّي بتعلموا فيها، بقول لحالي معقول أبوي وابوهم اخوه من أم أب، معقول أنه ربنا كاتب لأبوي يكون فقير وعلى قد حاله، وكاتب لعمي يكون غني ومعه مصاري وبناته يتنعموا بالخير هذا ولا هاممهم حاجه.

بسأل نفسي طيب ربنا شو رح تفرق معه إذا عمل أبوي حسن غني مثل عمّي حسين، على أساس انهم الأخوه حسن وحسين حملهم نفس البطن ومن أب واحد هو سيدي، والإثنين عاشوا طفولتهم وشبابهم في نفس البيت، تعلموا في نفس المدارس، أكلوا من نفس الصحن، ولبسوا من نفس لخياط، أو محل الملابس، وشربوا من نفس الميه، شو للّي صار مع أبوي حسن وما صار مع عمّي حسين، شو للّي صار مع عمّي حسين وما صار مع أبوي حسن.

كنت مرّات اسأل أمّي بطريقه غير مباشره، بس ما كان في على لسانها غير

_"كله مكتوب، هذا الرزق والعمر مكتوب".

أسالها؛

_ مين اللّي كتبه.

تطلّع لفوق وتأشر على السما من دون ما تحكي ولا كلمه.

ارجع بيني وبين نفسي أسال حالي، لو الموضوع إله علاقه بالخلقه، بنقول مكتوب، مثل أنه الولحد يطلع قصيرأو اصلع، أو عيونه خضر أو سود، أو إنّه بشرته حنطيه او سمره، أو في على وجهه نمش أو تكون حبته صغيره مثل خالي نعيم، او تكون الوحده منخارها أكبر من راسها أو ثمها بوسع جمل، أو أذنيها عاملات مثل الرادار، بنقول لحالك ملاشي مكتوب، خلقت الله.

بس كمان خلقة الله سببه عوامل وراثيه، لأنه الله مش قاعد يقسم بين الناس هذا أحول وهذا أعرج، وهذا أبيض وهذا اسمر، وهاي عيونها حلوه وهاي ريحة تمها مش ولا بدّ، كل هذا إله أسباب وراثيه محضه، لمّا تجتمع بويضة الأم مع بذرة الأب بطلع التحفه لفنيّه اللّي هي أنا أو أي واحد من المخلوقات الآدميه اللّي عايشه على لكوكب الأزرق، والكل

عايش سواء راضي عن شكله أو مش راضي، ويمكن مع تقدم العمر اللّي ما كان راضي لسبب أو لآخر بصير راضي أو ينسى الموضوع لأنه في شغلات تلهيه يبطل راضي عنها. بس موضوع الرزق أنة مكتوب هذا مش داخل دماغي.

أبوي معه بكالوريوس محاسبه وعمّي معه بكالوريوس محاسب، أبوي أول ما تخرج اشتغل محاسب في شركة الوادي للتوزيع، وصرله على هذا الحال أكثر من 25 سنه، معاشه زاد كثير إذا قارناه بأول معاش أخذه، بس عمّي أول ما تخرّج رفض يشتغل محاسب مع أبوي في شركة الوادي، لأنه ومن أول يوم ما كان مقتنع بالوظيفه، أبوي كان وضعه عال العال، معاش ثابت ومضمون، وعمّي وضعه مكركب وطفران، كان يشحد من أبوي ثمن بكيت لدخان.

أبوي تزّوج وخلّف وعمّي بعده عزّابي وعايف لسلطه، رغم أنهم الإثنين على روس بعض يعني الفرق بينهم بطن على رأي ستّي.

بس عمّي ما بقيت شغله وما اشتغلها. بس بدون وظيفه، هيك مخه مركب، الكل كان يهدي عليه، ولتهمه الجميع بالغباء والجنون لأنه برفض الوظائف اللّي بتيجيه.

باع خضره، باع لبن وجبنه، باع أواعي، باع خرده ونحاس والمنيوم، باع ورد، باع سيارات واشتغل في لعمله، بس كان كل يوم يتعلم درس جديد، مره وحده زبطت معه، وصار معه مصاري، شوي اشترى سياره وكانت أول سياره بركبها واحد بتتسجل في وزارة لنقل على اسم واحد من العيله، شوي اجّوز بنت تاجر مهم في البلد، وطبعا بنت الحسب والنسب بدها دار تليق في مقامها، وهيك استأجر دار في أرقى أحياء نابلس، دارت الأيام وفي كل مناسبه كان يكون في إشي جديد في حياته، أخيرا صار يطلع على الصين وتركيا، وصار تاجر من تجار البلد، إله أسمه ومركزه لمالي وسمعته، وإله تجارته، وطبعاً كل هذا الخير انعكس على بناته ومرته، وطبعا ما شوفنا منّه غير الحسره والندم.

أبوي حتى اللحظة محاسب في شركة الوادي، ورح يموت وهو محاسب في شركة الوادي، وطموحه أنه اخوتي سائد ورائد وساهر يدرسو محاسبه علشان يتوظفوا في شركة لوادي، وحتى أنا لو بطلع في إيده أترك الصيدله واتعلم محاسبه علشان أتوظف في شركة الوادي ما قصّر، بس طبعا هذا من سابع لمستحيلات، حتى بالنسبه لأخوتي، لأنه اللّي

صار معه أكيد وبالضروره مش لازم يصير معي أو مع أخوتي.

عمّي صحيح ما أجاه أولاد، وكل خلفته بنات، وهذا الإشي عامل عزاء كبير لأمي، وبسمعها بقول:

_ لمين يا حسره هالمال والدور، بكره بروح وبروح كل اشي معه، وما في ولد يحمل اسمه.

وعلشان ابوي يداوي جروحه وخيبته بحكي دون ما يذكر اسم أخوه، أنه لمال ابتلاء من الله، والفقراء أحباب الله، وإنّه البني آدم آخرته رح يموت وما رح يوخذ شيء معه، وطبعا يكون قصده عن عمّي حسين بدون ما يذكر اسمه.

أنا هذا الكلام ما بدخل راسي، الإشي الوحيد اللّي شايفه وعارفه وحاسه أنه بنات عمّي حسين عايشات الحياة أحسن منّا، والسبب مش لنصيب والرزق المكتوب، السبب لطريقه اللّي بفكر فيها عمّي حسين، والطريقه اللّي بفكر فيها أبوي حسن، ومش أي سبب ثاني.

(14)

نجاة

أتصل أبن عمّي هشام من دبي، وقلّي بالحرف:

_إلك ولاّ للذيب.

استدعيت جذور لقبيله الراسبه في لطبقات السفليه لعقلي وقلبي، وقلتله:

_خسا الذيب، شو الموضوع.

طبعا جماعة دبي والخليج ما بتّصلوا فيك بدّهم مصاري، بالعكس أحنا إذا بنتصل فيهم بيكون بدنا دينه نكمّل سقف هالدار، نكمّل جيزة هالولد أو نسكر خازوق من لخوازيق الكثيرة في حياتنا.

قال:

_بدي عروس لنضال؛ دبرتّي.

أنا طول عمّري ماخذ موقف من هذا الموضوع، في الجيزه والجواز بخاف، برتعب، شكاك غير متأكد حتى لو كان الولد إبني والبنت بنتي. وماشي مع المثل اللّي بقول "إمشي

في جنازه ولا تمشي في جوازه" بتردد في الحكم على الناس، وبخاف اعطي رأيي، اليوم صعب تحزر الناس كيف بتفكّر أو كيف تربّت، حاولت أعتذر بطريقه لبقه، حاولت أتملّص من الموضوع، هو كمّان ذكّرني بطريقه لبقه بالدّينه اللّي عَلّي، فقبلت واضمرت في نفسي أنّي لو ببيع الدار، لو بوخذ قرض من الجامعه، لازم أسدد هالدينه اللّي صار إلها 7 سنوات وكاسره ظهري.

مرّت صور بنات لعيله، وصور بنات الجيران، وبنات الحاره، والحارات والعمارات اللّي جنبنا، وصور بنات الجامعه اللّي بعرفهم واللّي ما بعرفهم، وصور الممثلات الهنديات، والعربيات والمغنيات في المسلسلات الاجنبيه، بس في صوره وحده انطبعت في راسي بدون أي مقدمات ولا تبرير، وكانت نجاة..

نجاة طالبه عندي تخصص فيزياء، درّستها 4 مساقات، طول لثلاث سنوات الماضيه، كانت لطيفه مؤدبه خلوقه طويله وجمالها متوسط.

اعتصرت كل خبرتي المتواضعه في لنسوان وبنات الجامعه، استحضرت كل المواقف والمعارف وعلاقاتي

الغراميه السابقه، وعلشان ما أندم على لختياري، صغت كل الموضوع على شكل السؤال التالي.

لو عندي ولد على وجه جيزه بختارها زوجه لأبني؟

تذكرت نضال وشخصية نضال وطباعه، وتذكرت نجاة وشخصيتها وعاداتها وأخلاقها، وكان الجواب نعم.

اتصلت في إبن عمي وصار لحكي يجي هو ومرته وابنه يشوفوا نجاة.

بعدها صار لنصيب ونضال كتب كتابه على نجاة، كانوا مبسوطين في بعض، وزي كل شب وصبيّه لمّا برتبطوا؛ نولدت أحلام جديده بتخصهم لوحدهم، اعتبروا إنهم مخلوقين لبعض، وانّه كل واحد لختصر العالم في شخص الثاني، وفي أسرع من قطار ياباني، أسرع من طلقة مسدس روسي حبّوا بعض وقبلو بعض، اللّي شافهم في الحفلة بقول بعرفوا بعض من 24 سنه رغم إنهم قبل 24 ساعة ما كانوا شايفين بعض.

كتبوا الكتاب، عملوا حفله في أفخم صالة أفراح في البلد، نضال كان جايب معه للتلبيسه من ذهب دبي، رقصوا حتى شبعوا، ولجميع كان مبسوط في لعروسين نجاة ونضال،

وصار الحكي على الصيف وبعد ما تكون نجاة تخرجت من الجامعه، يتجوزوا وتسافر نجاة مع نضال على دبي.

بعدها أنا دوري انتهى، وما عدت أعرف شيء عن علاقتهم، بس تلفون إبن عمّي هشام فاجأني.

ما كان مرّ على كتب كتاب نجاة ونضال 4 أشهر، لتصل إبن عمّي هشام وقال بعد السلام والتحيه:

_شكله ما فيه نصيب للولد في البنت تاعتك.

في البدايه أنا فكرته بمزح.

ومن لهجته فهمت أنه الموضوع جدّي

_مثل ما عرّفتنا عليها، خلصنا منها.

طبعا أنا ما بدّي أخسر إبن عمّي وعلاقتي لطويله فيه، وكمان ما بدّي يزعل ويروح طالب لدينه تاعته، طلبت منه يهدّي حاله، وقلت له: خلينا نحكي مع الولد والبنت، يمكن يكون خلاف بسيط، كمان الشب ولصبيه بعدهم صغار وعقولهم مش ناضجه، وكمان خلافاتهم سخيفه، ومثل ما بتيجي بتروح بسرعه.

بس إبن عمّي كان مصر إنّه ما في نصيب، لأنّه الولد ما عاد بدّه إياها، والخلاف بينهم وصل للحدود القصوى، وعرفت فيما بعد، أنها هي كمان ما عادت بدها إياه.

كانت الأمور وصلت بين نضال ونجاه لمرحلة اللاّعوده والسبب الهستوري[12] الموجود لنضال على فيسه، الصور والتعليقات والمشاركات، كمان الأصدقاء من الجنسين، وكمان نجاة كان عندها هستوري على الفيس بس طبعا مش مثل نضال وكمان يبدو إنه لكل واحد منهم كان في أحلام وصور خاصه براسه لشريك لعمر، وهاي لصور طلعت محروقه، طلعت ألوانها باهته.

بسأل حالي كيف حكموا على بعض، وكيف عرفوا إنهم ما بناسبوا بعض، وهمّا ما عاشروا بعض، ولسّا ما اقتربوا من بعض ولمسوا أيدي بعض، يمكن لأنهم عرفوا بعض في العالم الإفتراضي على الفيس ولوت أب وغيره علشان هيك صار للّي صار.

وطبعا صار الحكي على لصيف بدل ما يتموا الزواج يتموا الطلاق.

صديقي وزميلي في الجامعه، الدكتور فهمي سليم، كان عنده تفسير أقنعني لمّا حكينا في الموضع قال:

---

[12] أي جميع مشاركات وتعليقات المستخدم على الفيس بوك، حيث يستطيع أي صديق أن يستعرض جميع مشاركات صديقه منذ لحظة اشتراكه في الفيس حتى اللحظه.

_ شباب وبنات اليوم جميعهم تقريباً ممثلين قديرين، لصوره اللّي بتشوفها والشخصيه اللّي أمامك مش هي بالضبط الشخصيه الحقيقيه للبنت أو الشب، وأنه موضوع الزواج والإرتباط هاي الأيام صار أصعب من الصعود للمريخ.

واضفت لكلامه، لمّا كنا نحكي في الكردور وقبل ما ندخل كل واحد على محاضرته، أنه أكثر شيء أصبح يشكل شخصية هذا الجيل هو التقليد، صاروا البنات يقلدوا معارفهم في كل شيء دون ما يحكّموا عقولهم، لدرجه أنه الجيل كلّه صاروا بشبهوا بعض إلى درجة الملل.

_ كلامك صحيح دكتور.

ردّ الدكتور فهمي سليم.

وأنا بدخل على المحاضرة شفت نجاة، وكأني بشوفها لأول مره.

لكن اقسمت على كتاب ربنا، لو إبني بدّه يتجوز ما نصحته بحدا.

(15)

خالي عُمَر

بس لمّا قالوا لخالي عمر، أبوك مريض مرض الموت، وافق يزور فلسطين بعد غيبه استمرت 34 سنه، مش لأنه سلطات الإحتلال مانعته، هو اليوم معهة جواز سفر ألماني، بحكي ألماني مثل العمه ميركيل ويمكن أكثر، وصار ولاؤه وحبه لألمانيا وعلمها وثقافتها إذا ما بزيد فهو مثل ولاء وحب الألمان.

وصل على فلسطين، وتقريباً ما كان يعرف غير الجيل القديم اللّي كانوا موجودين أيام شبابه، وكان عمره على حافة لستين.

أغلب الناس في البلد ما عرفوه، واللّي شافوه شبّهوه للمثل عمر الشريف، أكثر واحد انسجم معه هو أنا، لمّا سافر

أو هاجر أو هرب كنت بيبي في اللّفه، مثل ما بسمع من أمي ، وكل اللّي عرفته عنّه عرفته من ستّي وسيدي وفيما بعد من الفيس بوك.

أنا اليوم 34 سنه وهو أقل من 60 بسنه، لمّا سافر كان يا دوب مخلّص دراسه في الجامعه الأردنيّه، ومثل ما بتحكي ستّي سبب سفرته لخلاف اللّي حصل بينه وبين أبوه اللّي هو سيدي أبو مالك على جيزته من بنت عمّه، وتبين إنه كائن يحب بنت سوريه، بس لمّا رجع من الجامعه وأبوه فاتحه بموضوع الجيزه من بنت عمّه وصلت بينهم للسما، أيامها كان سيدي في جبروته، ومش شايف حدا قدّامه، خالي عمر في ليله ما فيها ضو قمر، غادر فلسطين وبعدها عرفنا إنه في ألمانيا، وما رجع من يومها حتى هذا اليوم.

كنّا نعرف أنه خالي عمر وضعه المادي ممتاز، وكان هذا واضح في التحويلات اللّي كان يرسلها لسيدي ولأخوته وأخواته وخواته، وكمان كيف ساعد الجميع في سداد خوازيقهم

وديونهم، وهو اللّي تعهّد في تدريسي وتدريس أكثر من 5 من أولاد وبنات أخواتي وخالاتي.

لمّا رجع على فلسطين كان يوم عرس حقيقي، اليوم اللّي شفنا فيه الرجل الكريم المعطاء اللّي عمره ما بخل على حدا، يعطي ويعطى دون كلل ولا ملل.

حقيبة سفره كانت أصغر حقيبة سفر شفتها بحياتي، يمكن علشان يحكي للجميع إنه هو مش مطوّل في البلد، يا دوب كام يوم ويرجع لعالمه.

هو صحيح ما جلب معه هدايا، كان حضوره وأفضاله سابقته، لكن كرمه كان متوقع، كل واحد تقريبا ما عدى سيدي لأنه على فراش الموت كان فاتح ثمّه للهديه أو المكافئه اللّي رح يمنحها خالي لكل واحد من أفراد العيله أخوه وخوات.

وفعلا ما خيّب ظن حدا، وكّل خالي بهاء في الموضوع؛ وقّله:

_ شوف كل واحد شو لازمه وبلّغني.

لمّا سمعنا هالكلام، ما فرحنا مثل ما بنفرح يوم عيد الفطر بعد شهر الصيام، فرحتنا كانت أكبر وما بتوصف، وهي من الأشياء النادره اللّي رح أتذكرها طول عمري، وطعمها رح يبقى في قلبي وعقلي.

طبعا تربيتنا ما سمحت لحدا يشطح أكثر من اللاّزم، وإلاّ واحد مثلي، كان ممكن يطلب بيت وسياره وعروس، وهو والله لو طلبت هذا الحكي ما كان رح يرمشله عين، كل واحد من العيله طلب حاجه خفيفه سيّما أنه كان خالي في السنوات الماضيه مش مخلّي حدا محتاج إشي.

بذكَر انّه المبلغ الإجمالي لحاصل مجموع احتياجات أفراد الأسره صغير وكبير، كان قريب من نصف مليون دولار أمريكي، خالي عمر كتب شيكهم وأعطاه لخالي مالك بعد ما اضطلع على تفاصيل حاجات الجميع، هزّ راسه وقال كلمه وحده بس.

_تكرموا..

لمّا كتب الشيك كأنه واحد طلّع من جيبته 20 دينار أردني يشتري فيهم كيس رز أو 4 كيلو جبنه عكاوي.

طبعا سيدي كان فعلا مريض مرض الموت، وكانت روحه معلقه بشوفة عمر، وكأنه رافض يغادر الدنيا دون ما يشوفه، لمّا وصل صارت الدار مثل يوم إعلان نتائج التوجيهي، مش عارف شو تعمل من كثر الأشياء اللّي لازم تعملها، خصوصا لمّا يكون معنلك أكثر من توقعاتك.

سيدي أبو مالك لمّا شافه، ارتدت روحه إله، واللّي شافه قبل يوم من رجعت خالي وشافه اليوم بيقول عنّه ممثل قدير.

بس اليوم الثالث بعد رجعة خالي، سيدي أعطاكم عمره، بعد ما عيونه تكحلت بالشب اللّي سافر من34 سنه واليوم صار كهل، وطبعا كان في بينهم عتاب وحكي ومسامحه واعتذار. خالي عمر كان صار ناسي كل الماضي، بس سيدي رجع ذكره فيه، وصار بدّه يعتذر ويبرر، لكن خالي عمر ما سمحله لا يعتذر ولا يبرر بل شكره على اللّي صار، لأنه لو ما صار هيك كان هو واحد من المواطنين البسطاء

المشحرين العايشين في البلد، عنده بيت وأولاد ووظيفه حكوميه أو خاصه، ويا دوب عارف يدّبر حاله مثل باقي أخوته خالي ملك، أو خالي بهاء.

بس هو اليوم واحد من رجال الأعمال المهمين في ألمانيا، وبتقدروا تقولوا مليونير حقيقي، عنده عيله وأولاد، الشيء الوحيد اللّي كان رافض يحيكي فيه هو حيلته العائليه في ألمانيا وكمان ما حدا سأله غير ستّي أم مالك، وكان سؤال سطحي وعابر، وهو ما كان بدّه يخوض في هيك مواضيع.

أنا كنت متشوّق لسماع حديثه، بعد ما شفنا كرمه، وسخاؤه كنت بجد متشوّق لسماع منطقه، وفكره.

صحيح هو من لنوع الصموت، وما بيحكي في لطالعة ولنازله مثل ما تعودنا على الزلام في مثل عمره، كان طبعه هادي، وكلامه قليل وموزون.

كنا بنحضر أخبار وكالعاده كانت الفضائيات العربيه تتبث أخبار القتل والدمار والقصف في سوريا والعراق واليمن وليبيا ومصر، ظهر شريط أحمر عاجل على الشاشه عن تفجيرات ارهابيه حصلت في فرنسا، هو ترك كل اللناس والحديث وحكى مجموعة تلفونات، حكى بالفرنسي وبالألماني، وكان منفعل ومتأثر جداً.

طلب فنجان قهوه ساده، وما كان حابب يحكي في أي موضوع، شرب القهوة دخّن سيجاره، وكان في طرف عينه دمعه متحجره كأنها من أيام السبعينات، من أيام المشاكل مع سيدي على جيزته من بنت عمّه، فجأه صار يحكي كلام بسمعه لأول مره، وتقريباً هذا اللّي كان ناقص أسمعه منه علشان أعرف منطقه، وأعرف فكره ومواقفه، قال:

انتو للأسف عايشين في البلاد هون والعرب والمسلمين العايشين في العالم العربي كله ما تعرفوا اوروبا ولا عندكم فكره عنها ولا كيف بفكروا أهلها.

كانت ملامحه تغيرت وصار أكثر جدّيه وأكثر حزن وحيره.

يصمت ويرجع يحكي، وجميع من حضر ساكت ويسمع.

شو بتفكروا حالكم، كأنه الله بس إلكم، إلكم لحالكم، وكأنه باقي أهل الأرض خلقهم رب ثاني.

الدين الإسلامي دين محبه وتسامح، دين بيقرب مش بيبعّد.

شو فاكرنا الدنيا لعبة بين إيديكم.

طبعا صرنا الحاضرين حاسين أنه احنا متهمين في تفجيرات باريسن، ومش عارفين كيف ندافع عن أنفسنا.

يصمت ويرجع يحكي والجميع ساكت.

المسلمون اليوم بعتقدوا أنهم الوحيدين الموجودين على الأرض، وباقي البشر فائضين عن الحاجه، العرب والمسلمين اليوم بعتقدوا أنه الدنيا والأخره خلقت إلهم وبس، وباقي أهل الأرض من سكان أوربا وآسيا وأفريقيا وحتى القطب الشمالي موجودين علشان يخدموا عليهم، لأنهم ببسلطه أفضل من خلق الله، بطلع واحد بقول " كنتم خير أمّة أخرجت للناس".. يا مسليمن يا عرب كنتم، فعل ماضي، أو فعل يفيد ممكن

تكونوا، وعلشان تكونو في شروط موضوعيه، شوفوا الرسول محمد (ص) كيف عامل اليهودي جاره، تاريخ الرسول والصحابه في معامله أهل الكتاب تدّرس نظريات في التسامح، شو اللّي صار، ومين السبب في اللّي بصير، للأسف ما حدا عارف ولا بده يعرف.

المسليمن في فرنسا وألمانيا ولنرويج بريطانيا وغيرها عايشين الحياة أفضل ما يعيشوها في بلدانهم، في مصر وسوريا ولعراق والمغرب والسودان، شو بتفكروا حالكم، بطلعلك بعض لمسلمين لعرب بفكرة أنها اوروبا كافره وبدّه ينشر الدين هناك وكأنه الأخ فاكر حاله موسى بن نصير، بدّه يكمّل فتوحات المسلمين أيامك لدوله العباسيه أو المماليك.

شو مفكرين حالكم، بجد مصديقين أنه الله بحبكم أكثر من كل أهل الأرض، بجد ... طيب احكولي ليش..

بدي حدا يجاوبني على هذا السؤال اللّي صرله محيرني سنوات، في رب غير الله موجود في الكون، كل ديانات أهل الأرض حتى الهندوسيه بتقول في رب واحد، الفرق بينا وبينهم

أنه الهندوس بعتقدوا إنّه في مساعدين للرب، بس مش هيك الدعوه للأسلام.

الدين الإسلامي من أنقى الأديان وأكثرها تسامحاً إذا قارناه باليهوديه والمسيحيه، شو اللّي صار في المسلمين ليحوّلوا الدين الإسلامي إلى بعبع ، ويتحولوا المسلمين في لعالم كله إلى وحوش بشريه هَمّها تقتل وتذبح وتفجر.

الفرنسي أو الألماني او البلجيكي أو الإسباني العادي شو ذنبه يموت بهاي الطريقه البشعه ولرخيصه، واحد رايح يحضر مسرحيه أو مزوح من شغله أو من السوبرماركت جايب أغراض بيته يموت بهيك بطريقه رخيصه وساذجه.

المسلمين ليوم عايشين في أصعب ظروفهم عبر تاريخهم كله، يمكن بس أيام لفتنه بين علي ومعاويه، أيام معركة الجمل وصفين، هذول كانوا مختلفين على الخلافه والزعامه، اليوم اللّي في سوريا على شو مختلفين. ماشي كمان مختلفين على الزعامه والرأسه، طيّب المواطن الأوروبي شو

ذنبه يموت في شوارع باريس، ولوكسمبورغ، أو برلين أو لندن، بدّي حدا يجاوبني من شاء الله.

طبعا ما كان حدا قادر يحيكي كلمه وحده، أولاً لأنّه ولا حدا عارف شو يحكي وكيف يرد على هذه التساؤلات، والثاني كان وضع خالي صعب ، ونفسيته زي الزفت.

وحده هشام إبن عمّي إيهاب، كان متديّن، تجرأ بسبب جهله وقال:

_ذنبهم فيهم السبب في اللّي احنا فيه.

بريطانيا اعطت لليهود وعد بلفور، وبعد الحرب العالميه الثانيه قسمّوا العالم العربي مثل الكعكه، واحتلوا معظم بلدان الوطن العربي، بريطانا سهّلت لليهود قيام دولتهم على ارض فلسطين، واليوم أمريكا وأوروبا والغرب كله حليف اسرائيل الأساسي، وأول من اعترف فيها ومدّها بالمال والسلاح. أوروبا وأمريكا السبب في نكبة فلسطين وتشريد أهلها، همّا

السبب في اللّي بصير في العراق وسوريا واليمن وليبيا، همّا السبب في كل ماسي العالم لعربي والإسلامي.

خالي عمر، ولّع سيجاره ربعه، وطلب فنجان قهوه تاني، وما كان حابب يرد على إبن خالي إيهاب.

بس قال كلمه وحده:

_ خليهم همّا السبب في كل اللّي بتحكي فيه، وكلامك مش صحيح كله، بعضه ممكن، بس الحل مش العنف الأعمى بالطريقه هاي، انتو مش عارفين الكره اللّي في عقول وقلوب الناس في اوروبا اتجاه الإسلام والمسلمين، والعرب على وجه الخصوص، وصدقني لولا إنها شعوب متحضره وعندها أخلاق ما كانوا سكتوا على وجدود مسلم واحد في بلادهم.

وكمان علشان أزيدك من لشعر بيت، في فرق بين الحكومات ورجالات السياسه والأحزاب وبين المواطنين العاديين. يوجد ملايين من الأوروبين المتعاطفين مع حقوق

الشعب الفلسطيني وحقه في إقامة دولته، والحل إطلاقاً مش بالقتل والتفجيرات في الأسواق والمطارات والمسارح، هذا اسمه إرهاب، هذا أسمه ترويع الآمنين، هذا بيضر بالإسلام، هذا بضر المسلمين والفلسطينين والعرب، هذا مبرر انّه العالم يكرهنا، ويكره إسلامنا.

هشام إبن خالي إيهاب كان بده يقلبها مناظره تلفزيونه بين واحد سلفي، والثاني علماني دارس وعايش في اوروبا، خالي إيهاب قلّه بالحرف سدّ نيعك لأنك واحد جاهل ومش شايف إبعد من خشمك.

كالعاده انسحب وهو يتمتم، لا اقتنع بكلام خالي عمر، ولا كان عنده المنطق والمعرفه علشان يقنع خالي بوجهة نظره.

عمّي عمر سافر بعد العصر على بلده ألمانيا، وتقديري المتواضع أنه ما رح يعيدها ويرجع على البلاد حتى لو قام سيدي أبو مالك من قبره.

(16)

عيني زايغه

أنا سامح صاحب بوتيك ستاتي، في شارع العدل، عمري 45 سنه، مصاري معي والحمد لله، صحتي تمام، بدخن مارلبور، بشرب 4-7 فناجين قهوة باليوم، من جديد صرت أسافر على تركيا والصين أجيب بضاعتي بايدي، الحياة في البدايه كانت صعبه، بس هلأ الأمور كتير منيحه، مرتي ست طيبه وحلوه ومتدينه، بس أنا لأ، يعني الصلاة بطنشها كتير، كتير مرات بجمع لظهر والعصر، أو العصر والمغرب. الصبح لما أصحى بصليه، مرات الساعة 9 أو 10، ومرات ما بصلي الصبح نهائي.

على المستوى العاطفي علاقتي بمرتي عاديه جداً، فيها برود مرات، أنا بحب المغامرات وهي متحفظه كتير، بس كمان صابره على نزواتي.

مرتي من نوع الستات اللّي بغارو كتير، لمّا تجوزنا كنت بشتغل في محل ستاتي، أصل تعارفنا كان في البوتيك،

كلمه من هون كلمه من هناك تعرفنا على بعض وصار النصيب.

بعد لزواج بسنه من زواجنا بعنا ذهبات المره على شوية مصاري كنت أنا محوشهم وفتحت بوتيك سامح للسيدات، في بداية حياتنا لزوجيه كانت سوسن تعلق على شغلي، وإنّه أنا بعرف كل نسوان البلد، وإنّه عيني زايغه، وتذكرني بطريقة تعارفنا على بعض، وكيف مسكت إيدها في المحل، وكيف كنت أعطيها هدايا، وبعدين صار النصيب، بس بعد هيك صار شغلي في البوتيك سبب رئيسي لعيشه النكد في البيت، تعليقات وتلميحات عن علاقاتي مع الستات، بس كانت الأمور تمر ولمسكينه تتسى أو تتناسى. كنت أقولها أنها من لمّا عرفنا بعض وهي بتعرف طبيعة شغلي في البوتيك، هذه مهنتي وهذه حياتي وما بعرف غيرها، ومش مستعد أتعلم إشي تاني، بعد ما عرفت أسرارها وأسرار التعامل مع الحريم في البلد، شو اللّي بحبوه وشو اللّي بكرهوه.

كنت معروف إنه لساني متبري منّي، وأنه لساني هو رأس مالي الحقيقي، لأنه أحلى من العسل، هذا لأني بعرف كل وحده شو بدها تسمع واسمّعها إياه، وكثير من نسوان البلد بيجو على لمحل بس علشان يسمعوا كلامي عنهم، وهذا كلّه بعتمد على السّت، ممكن غزل صريح، وممكن مجرد

مجامله صغيره ومرات مع بعض النسوان صمت تام وطاعة عمياء.

هذا الإشي كان قاهر كثير من جيراني، وعاملهم عقده نفسيه، أمّا مرتي فكان موقفها معقد، كانت عارفه إنه لساني سبب نجاحي، وبنفس الوقت كانت تتمنى إني أخرس أو أحول، أو أي إعاقه تصيبني حتى أظل من نصيبها وما يشاركها فيا حدا.

أختها سناء، كانت أوعى منها؛ داهيه مصبره، تقولها ما دام الزلمه آخر النهار بزوح على داره وبنام في حضن مرته وجايبلها متطلباتها ومش مقصر معها ما تخاف منه، تهدى مرات، وتولع مرات، وكانت عارفه وما توقف تعليقات، وأنا مرّات ازعل واصيح، ومرات أعمل حالي مش سامع ومطنش، بس علاقتي مع ستات البلد كانت تزيد وتجارتي تكبر.

أغلب الستات اللّي بزوروا المحل متجوزات، والستات المتجوزه أغلبهم بدورا على اللّي ناقصهم واغلبهم ناقصهم الكلمه الحلوه، الإبتسامه الناعمه، الغزل الخفيف، من نوع بعدك شباب، كل ما كبرتي بتحلوي، أو بعد غيبه للست عن المحل، عندي إلك قطعة بتستناكي، شو هالكسمات، يسلملي هالخصر، بس هذا الكلام مش لجميع الستات، كل ست الها

مودها وهواها وتقلقتها وجرأتها وذوقها واحتياجاتها، المطلوب من الواحد ما يخلط الحابل بالنابل، حتى في ستات متدينات، كانوا يحبو يجو على المحل، علشان بلاقو وجه بشوش وبضاعه ما في منها.

بصراحة مرّت سنوات على هذا الحكي، كر وفرّ مرّات تيجي سوسن على البوتيك، وكانت دايما تطلع رضيانه، أعاملها كأنها زبونه إلا إذا صادف وجودها مع وجود ستات من الزبائن الدائمين للمحل، وهون كانت تروح بينا زعل اسبوع، وما ترضي إلاّ لمّا توخد لكل وحده من خواتها قطعه كانت تسمّيها ضريبه أنه وحده منّها متحمّله واحد مثلي.

الفيس لمّا صار من أشياء حياتنا واحد مثلي كان يعتبره حكي فاضي، وشغل مراهقين، بس من كثر ما سمعت من جيراني عن الفوائد الدعائيه طلبت من نعيم جاري يعملي فيس، وهيك صار عندي بريد الكتروني وفيس بوك، وشوي شوي صار عندي أصدقاء على الفيس وصرت أغلب وقتي قاعد على الفيس، أقلب صفحات وما أخلي إشي ما افتحه، وطبعا صار عندي أصدقاء على الفيس، جيراني أصحاب المحلات، وكمان تجار من الخليل وجنين وطولكرم ورام الله،

وحتى من الأردن والخليج وتركيا والصين ومصر، وصرت أنزل بعض الموديلات على الفيس وهيك صارو أكثر أصدقائي على الفيس ستات البلد، يعملوا لايكات وكومنتس، وأكثر الكومنتس أسئله وأجوبه، وأنا صرت مبسوط على هالحكي، دخان وقهوة وفيسبوك وستات وأسئله وأجوبه.

طبعا اللّي ما بنحكى وجه لوجه في المحل صار ينحكي على المسنجر، وصار الحكي يكبر ويصير أكثر عن العلاقات العاطفيه والحياة الأسرية والزواج والطلاق والجنس وأشياء لستات الخاصه، وأنا من يوم يومي عيني فارغه. وصار عندي قصص بعدد شعر راسي، وصرت مستشار نفسي واجتماعي وحتى جنسي لكثير من الستات، وبنات الجامعه.

مرتي أو اللّي كانت مرتي، زادتها ومش كاينه تفهم أنه لدنيا تغيرت، وكمان آخر أفلامها كان فلم أسمه زهرة لبنفسج، طبعا لنص والسيناريو والإنتاج والتمثيل والإخراج للمثلة القديره سوسن مرتي؛ أو اللّي كانت مرتي.

أطول فلم حضرته بحياتي، تقريباً 3 شهور وهي تمثل وتكتب، طلبت صداقتي على الفيس، وكالعاده قبلت كانت تحكي معي على المسنجر وما تحب تكتب تعليقات، وطبعا كلام عاطفي وغرام، عن مشاكلها وأحلامها وعذابها ومعاناتها، وأنا قلت بتسلى في المحل مثلي مثل غيري، وطبعا كانت هي اللّي شجعتني نحكي عن الجنس لحدّ ما طلبت تزورني في لبوتيك، قلت في عقلي نزوه عابره خليني أشوف لوين بدها الأمور توصل، طبعا ولا في كوابيس الحرب العالميه ولا في خيال اينشتاين خطر في بالي أنه هذا الفلم الإباحي معد مسبقاً، كتبته وأخرجته وحده تركتْ لدنيا وبنات البلد كلهم علشانها، طبعا كانت سوسن هي الممثله والمخرجه، بس كان فيلم بايخ ونهايته مأساويه.

اليوم السبت فتحت المحل بكير؛ طبعا علشان متواعد مع صاحبة الصون والخلف زهرة البنفسج، وطبعا بعد ما أسرفت في تقديم مشاهد إغراء سلخنه في حواراتنا على لمسنجر، وتفاجأت إنها زوجي، وأنا طول عمري ما بحب المفاجئآت وبعتبرها سبب أساسي للجلطات القلبيه والدماغيه، ومصدر أساسي لردات الفعل الغبيه والغريبه.

زوجتي المصون ما اكتفت إنها ضحكت علّي طول المده لسابقه، كمان اليوم بهدلتني ولقنتني درس في الأخلاق والوفاء والسلوك. وأنا بعد هيك مش رح أقدر أحط عيني في عينها ولا أتنفس في وجهها، علشان هيك أنا رميت عليها الطلاق، وصارت حياتي وحيات أولادي في مهب الريح.

مين المسؤول؛ مش عارف بس أكيد مش الفيس بوك، ومش أنا لحالي ولا هيّ لحالها.

(17)

السبت المشؤوم

أنا سوسن، مرت سامح صاحب بوتيك سامح للسيدات، أكيد سمعتوا منّه؛ وأكيد فهمتوا منّه إنّي وحده ما بتستاهل النعمه، ناكره الجميل ولعشره، بس لازم تسمعوا منّي كمان، لازم أحكي وتسمعوا منّي.

أنا سوسن، سوسن ولدت في عيله وضعها المادي عادي إلى أقل من عادي، بيتنا إيجار، وبابا بيشتغل فرّاش في مدرسه الحاج أمين، ترتيبي الأولى بين أخوتي وخواتي، طموحاتي كبيره؛ كانت كبيره، بس أبوي الله يسامحه رفض أدرس في الجامعه لأنه ما في دخل يكفّي للجامعه ومستلزماتها رغم أنّه معدّلي في التوجيهي 88.4، كثير من زميلاتي في المدرسه سجّلوا في الجامعه، هندسه وعلوم وفنون وصيدله وتمريض، ولما قعدت في الدار أجلي لجليات وأستنى العريس الموعود.

أمّي كان مضروب في جمالها المثل، وأنا كنت طالعه عليها، مع اللبس الحلو والموضات كنت لسّا أحلى منها، وأكثر شيء كان لافت هو عيوني، مثل عيون الجمال كيف كانت تحكي ستي لأمي أم جمال، سوادهم من اللّيل وبياضهم من الحليب، مليانات حُب وشغف للحياه، حضرت كل المسلسلات التركيه والمكسيكيه والسوريه والخليجه، كنت حاسه بذي اختنق، ستي أم جمال قالت لأبوي:

_تعليم ما علمتها وقّعدتها بالدار، كيف الناس بدها تشوفها وتعرفها، خلّيها تروح وتجي خلّي الناس تشوفها وتعرفها، علشان يجيها نصيبها.

خالتي ورده اقترحت تعلم كوافير ستاتي مثل جارتها ساندي، لكن أبوي رفض، فتحول الموضوع إلى سكرتاريه وكمبيوتر، وفعلاً رحت لسأل المعاهد في البلد، وسجّلت في دورة سكرتاريه وكمبيوتر في مركز التدريب المهني، وصرت كل يوم أروح على البلد أدوام في المركز.

هناك تعرفت على بنات وأولاد كثير، الأولاد ما في حدا نزلي من زور، بس في بنتين علاقتنا صارت بسرعة قويه وصرنا نروح ونيجي مع بعض، ولمّا نخلّص دوام المركز نروح نتمشى في البلد.

هو ما تمالك نفسه وقعد على أقرب كرسي، حسيت أنّه عمره قفز 30 سنه مرّه وحده، حسيت أنّه ندمان على إنها أمه حملت فيه وجابته.

حط راسه في الأرض، وما نطق بكلمه، بس ولّع سيجاره وتركني أسب عليه،

ما خليت مسبه ما حكيتها، ووصفته بكل الأوصاف والتهم الوسخه اللّي في لدنيا.

وبسخريه وعلى مسامعه حكيت مقتطفات من حواراته معي، عفواً مع "زهرة البنفسج" لساخنه على الفيس، بس ما قدرت اشوف انفعالاته لأنه طول لوقت كان راسه في الأرض.

تركني أحكي كلّ لكلام، وولع سيجاره ثانيه.

طبعاً أنّه ندمان هاي كانت مجرد انطباع شخصي، لأنه بس خلّص السيجاره الثانيه، رماها وداسها بكندرته كأنه داس على صرصور فلت عنده على لمحل.

ولأول مره بشوفه بالمنظر هذا، ما حكى ولا كلمه بس رمى عليّه الطلاق.

(19)

النتائج بتحكي

أبوي فتحاوي قديم، من لسبعينات وقلبه مع فتح، وكل اللّي عرفته عن أمريكا؛ عرفته منه.

أمريكا سبب نكبتنا، أمريكا رأس الحية، أمريكا حليفة إسرائيل على الحلوة والمرة، أمريكا صاحبة حق الفيتو اللّي رفعته في وجه حقوقنا العربية، أمريكا بتزوّد إسرائيل بالسلاح والمال، أمريكا.. أمريكا.. أمريكا..

من كلامه وحواراته مع الفتحاويه اصحابه اللّي بزوروه وبزورهم، كرهت أمريكا ورؤساء أمريكا وهوا أمريكا، وترلب أمريكا، كبرت وكبر كُره أمريكا لحد ما قابلته بالصدفة.

صحيح صدمتني صلعته اللّي عامله راسه مثل حبة القرع؛ ذقن رفيعة وجبهة عريضة ممتده إلى إبعد الحدود المرئية من رأسه، طبعاً كان آخر مرة شفته فيها من ثلاثين

سنة، من لمّا كنا بالثالث إعدادي، (الصف التاسع)، هو راح على مدرسة الحاج معزوز المصري، وأنا رحت على لمدرسة الإسلامية، على اعتبار إنّه المدارس الحكومية الدراسة فيها مش ولا بدّ.

بعدها ما عدت شفته ولا سمعت أخباره، لأنه كمان ما كان شاطر في لمدرسه، وهامل في الدراسه وحتى في لصف السادس كان استاذ لحساب عامله مسخرة الصف، لأنه لحد ما وصل للسادس وهو مش داخل مخة جدول الضرب، على عكسه كنت أنا من الأوائل، وكنت حافظ جدول الضرب عن ظهر قلب. طبعا أنا مش حابب أحكي قصة حياتي ولا قصة حياته، بس النتائج بتحكي لحالها.

فجأة ظهر "وليد" على الساحة، بس كان ظهوره طاغي ومميز، قرر يستقر في لحارة، ويسافر بين لفترة والثانية لأمريكا يشوف مصالحه، فجأة بنى دار بتهز العقل، فجأة اشترى سيارة موديل سنتها، فجأة فتح مخبز في شارع عمان وشغّل اولاد اخته فيه، فجأة اشترى 3 سيارات عمومي مرة وحده وشغّلهم على خط رفيديا ولحبل على لجرار.

قصة حياتي إذا بدي أحكيها حتكون مملة حتى للعصافير، كنت طول عمري من الأوائل، وهو ما كان حافظ جدول الضرب، بس النتائج بتحكي.

أنا اليوم ساكن بالإيجار، والأجرة السنوية يا دوب بعرف أدبرها كل راس سنه هجرية، عمري ما طلعت برّه فلسطين، وأبعد مكان زرته في فلسطين لنبي موسى، القدس آخر مرّه زرتها لمّا كنا في الصف الأول ثانوي، (عاشر)، سيارتي اوبل أسكونا موديل 86، ولونها الأزرق مش حلو، أولادي في مدارس حكومية، ومرتي مش عارف كيف متحملتني، راتبي من الحكومة قبل عشرين لشهر بيكون طاير رغم أني كنت حافظ جدول الضرب عن ظهر قلب.

أصحابي قالولي تعال نسلّم عليه، أنا رفضت؛ كيف واحد مثلي حافظ جدول لضرب عن غيب يروح يسلّم على واحد زيه كان هامل ومش شاطر في المدرسة، وبصراحة طلعت إشاعات كثيرة عليه، منها انّه تاجر مخدرات في أمريكا، ومرة طلع عليه إنّه سارق بنك، ومرّة انّه مرتبط بالمافيا وأشياء أخرى كثيرة، طبعاً تبيّن إنّه كله حكي فاضي، وكلام حساد، وانّه أمريكا حليفة إسرائيل وراس الحيّة هي كمان بلد الأحلام، بلد الأفكار لجديده ومبادرات الأعمال، أمريكا

ذراعاتها مفتوحة لأي حدا عنده حلم وبيقدر يحوّل هالحلم لواقع، لأي إنسان مهما كان جنسيته أو دينه أو لونه وعنده فكره وبيقدر يترجم هالفكرة لنجاح، مرات بتخَيّل وليد لو ظل في الحارة وما سافر لأمريكا، كيف كان رح يكون حاله، على كل حال أنا حدا ما غادر الحارة وتوظف بالحكومة وحالي مثل ما عرفتوا وسمعتوا، "وليد" اليوم إله اسمه وهيبته واحترامه بين الناس، وكمان إله مركزه المالي ومقتياته، ورغم ذلك لمّا بشوفه في الشارع ما بسلّم عليه وبعمل حالي مش شايفه.

(20)

برنامج الرئيس

إحنا بفلسطين ومش غرور منا؛ عندنا أشياء غريبة ومتناقضة إلى درجة سريالية، بنعمل أشياء ما في بينها رابط حقيقي، بس إذا حاولت تشوفها لحالها وبعيداً عن سياقاتها حتكون مميزه وممكن تثير الإعجاب والحيرة والحسد.

آخر صرعة برنامج تلفزيوني تنتجه محطة محلية بنكهة فضائية اسمه "برنامج الرئيس". طبعاً هذا ليس له علاقة بالبرنامج السياسي أو الإقتصادي للسيد رئيس لسلطة الوطنية لحالي أو الراحل. إنما هو برنامج افتراضي لتشجيع فئة الشباب على التقدم والإستعداد لمواقع المسؤولية الحساسه وعلى رأسها الدوله.

أمّي الله يطوّل عمرها وأصحابي أقنعوني إنه شخصيتي وثقافتي ومؤهلاتي العلمية والأخلاقية، وذكائي وإخلاصي وتعاوني كلها بتساعدني أنافس في مثل هيك برنامج، وفعلاً

تقدمت وسجّلت وقطعت شوط حتى وصلت للمرحلة النهائية، مش رح أحكي عن التفاصيل الكثيرة، عن الأسئلة والأجوبة والإستعراضات والسطحية والتفاهات واحياناً لركاكة اللّي صارت والثقة المفتعلة اللّي مارسناها جميعنا تقريباً، بس كمان تعرفت على شباب وشخصيات بعضها كان بستاهل حجمه والثاني مثل تماثيل الرمل.

لكن طول لفترة كان شاغل بالي أمرين:

الأمر الأول هو الجرأة اللّي عنّا بفلسطين ومش موجوده ولا ببلد عربي ثاني، لجرأة لعمل برنامج لتأهيل الشباب من لجنسين حتى يشغلو منصب الرئيس، يعني تأهيل نفسي ومعنوي وحضور شخصية ومعرفة وثقافة لقيادة الدولة في المستقبل، أظن أن مثل هيك برنامج ممنوع في معظم وأغلب وجميع وكل الدول العربية المجاورة واللّي مش مجاورة، لأنه مجرد التفكير في حدا إنّه يكون رئيس ممنوع للعقدين القادمين. على اعتبار أنّ الرئاسه في عالمنا العربي مرتبطه بمعادلة لحياة والموت وليس لها علاقه بأي اعتبارات أخرى، يعني الرئيس في بلادنا العربية بتغّير بقرار رباني فقط، وليس للشعوب علاقة بذلك، بمعنى بس إذا ربنا قرّر يستدعيه لعنده في رحلة بلتجاه واحد دون عوده يمكن يتغّير.

الأمر الثاني؛ خاص بفلسطين ومش خفي على حدا، إحنا الرأسة عنا (باعتبارنا دولة تحت الإحتلال، حكم ذاتي أو سلطة ذاتيه مثل ما بدكم اتسموها سموها)، حصلت مرتين، والإنتخابات لبرلمانية مرتين، وما أظن واحد مثلي ممكن عمرة يمتد حتى يشوف لثالثة، من لمّا ظهرت لسلطة لوطنية، وطبعا كان أول رئيس المرحوم طيب الذكر الأسطورة أبو عمار، وبعدين أجا الله يطول عمره ابو مازن عزّلب اوسلو، وزي ما بعرف الجميع، المرشحين للرأسة وللّي بحضروا حالهم للترشيح أكثر من الهم على القلب.

والكل طبعا بعتقد انّه أكثر جدارة ووطنية ووسامه من الجميع.

وين مربط الفرس؟

مع تقديري واعجابي بالبرنامج وجرأة القائمين عليه وجدّية المشتركين وحماستهم، واللّي أنا واحد منهم، ما في فرصة لأي واحد من لمشاركين يكون رئيس لدولة فلسطين، لا هاي لسنه، ولا للّي بعدها ولا بعد مئة سنه، طبعاً ما دام لحال كما هو.

لماذا؟

لأنه لرئآسة والمناصب القيادية عنا بفلسطين وفي عالمنا العربي لحزين محكومة بمعادلات عجائبية أساسها أكيد مش الكفاءة الشخصية، ولا الثقافه أو الكريزما، أو حتى نظافة اليد أو البرنامج الإنتخابي، أو خطه خمسيه لتطوير لتعليم أو الصحه، أو الصرف الصحي، أو البحث العلمي لخ..

ودمتم ذخراً.

(21)

الإهداء

أبعدت نفسي عن التفكير في الموضوع لحد سنة رابعة، لمّا صار لازم نعمل بحث لمشروع التخرج. الدكتور أصرّ نكتب إهداء باعتباره جزء من البحث، صحيح تغلبت في البحث العلمي سيّما أنه عمرنا ما تعلمنا البحث العلمي، ولا بنعرف شو البحث العلمي. بس أنا تغلّبت في الإهداء أكثر من البحث نفسه.

حاولت أعصر كل قواي النفسية والعقلية والعاطفية والإنسانية، علشان ألاقي حدا أهديه ثمرة جهدي، بس ما لقيت، وطبعا هذا مش لأني ناكرة للجميل، أو لأنه مش عاجبني حدا، أو لأنه جهدي جبار أو لأني أحسن حدا بعمل بحث علمي. أبداً؛ بس لأني وأنا بدّور في ذاكرتي عن حدا يستاهل ما لقيت.

أول ما خطر ببالي أمي..

تذكرت أمّي "منى" وتذكرت قديش هي تعبت وضحت وقدّمت، وقديش هي بتحب أولادها وبيتها، وقديش دفعت من

روحها وقلبها وجسدها حتى تحافظ على اسرتها، وقديش بذلت جهد علشان تجيب ولد وما زبطت معها. بس مسكينه ما كان طالع في ايدها إشي، لأنه جوزها أبوي سليمان الناصر "أبو محمد" -أبو محمد هو الإسم اللّي "باي دفولت" بنادي لناس فيه الزلمة بس ما يكون عنده أولاد- كان عامل حاله الله في لبيت، لستا الله ما بدّخل في كل تفاصيل حياة عباده، يعني إذا حدا ما صلّى الصبح حاضر، أو إذا صلى وهو مش متأكد أنه وضوؤه فسد ولا لأ، ما بتلقى تهديد من الله أو بتلقّى مسبه أو ما بشوف إلاّ والكف على رقبته أو على وجه، بس أبوي كان عامل حاله الآمر الناهي الحاكم المستبد المتحكم في كل صغيرة وكبيرة في الدار، وكل اللّي كانت أمّي تبنيه كان أبوي يهده برمشة عين.

رغم تعاطفي معها، ورغم محاولاتها وجهدها، أنا مش قادر اكتبلها الإهداء.

الحالة اللّي أنا وخواتي الخمسة فيها، ما كنت واعيلها لحد ما دخلت لجامعة، قبل هيك كنت بفكر إنّه الحياة لازم تكون هيك، والآباء كلهم هيك والأمهات كمان لازم يكونو هيك، لأنهم ببسلطه ضعاف أمام الرجال.

إذا بدّي أوصف أبوي ما بلاقي غير عصبية دائمة، مسبلت وتكشيرة ولحية طويلة غير مهنبة، وصلعة معبيّة وجهه، وهاي لملامح كانت هي نفسها ملامح لخوف والرعب، حتى أني بَطلت أميّز بين الخوف والحب وصاروا بالنسبة إلى زي أصابع تويكس، صعب اتميّز بينهم.

أعمامي وأخوالي ولا كأنهم هون، ببساطة لأنهم كانوا يتفّو شره، وحدها ستّي "أم سليمان" اللّي كانت في كلّ مرّه تهدي عليه.

_ بيصرش هيك يمّا"

_"اللّي بتعمله ما حدا بتحمّله"

_بنانك بيخافوا منك كتير"

_"بكرة بتعقدوا من الحياة"

وهو كان يعتبر كلامها شهادة على حسن تربيته، وانه صلين هالبنات اللّي رايحين يدخلوه الجنة.

نسيت احكيلكم، إحنا ست بنات وما في بينا ولا ولد ذكر، وهذا الموضوع كان عامل لأبوي أزمة نفسية وفلسفية ووجودية كبيرة. وبتذكر لمّا ولدت أمي آخر مرّة وكان المولود بنت، سمّاها كفاية، وحلف ميت يمين وألف طلاق أنه عمرة ما بعيدها، رغم أنه ما كان يخلّي صلاة صبح ولا عشاء ولا

تراويح إلا يدعي الله يعطيه قطمة ولد علشان يحمل اسمه، كأنه احنا السته مش موجودات.

طبعاً ماما في كل مرّة كانت تجيب البنت كان بنكسر فيها إشي، لحد ما صارت عبده تطيع وكأنها السبب في ذلك.

العلم الحديث اللّي أبوي ما بتعرّف عليه بيقول انّه الزلمه هو المسؤول عن تحديد نوع المولود ذكر أو أنثى، بس أبوي لليوم ولبكرة ولحد ما تقوم الساعة محمل امّي مسؤولية إنها بس بتجيب بنات. وأكثر من مرّة كان يحكي بدون خجل، لو انّه وضعة المادي بيسمح كان جرّب حظه مع وحده ثانية تجيبله الولد اللّي نفسه فيه.

كنت أنا وخواتي عايشين بالهجو كأنه قضاء مرسوم لا يمكن تغيره أو مناقشته حتى دخلت الجامعة، طبعاً بعد جهد جهيد وبعد واسطات ستي أم سليمان واخوالي واعمامي وبعد ما اتدخل جارنا أبو حازم اللّي بشتغل في اللّوازم والمشتريات في الجامعة، وحده اقنع في إقناع أبوي وقال له:

مش كل بنات الجامعة مثل بعض، في هيك وفي هيك، وانه بنته "وعد" درست 4 سنوات في الجامعة وثمها ما خاطب ولا شنب، طبعا بيقصد من زملائها الشباب.

المهم دخلت الجامعة وكنت طول الوقت حاسه إني أقل من الجميع، والحصانه اللّي كنت حاسسها بالبيت طارت في الجامعة لأنها كنبة كبيرة، كنت حاسه إني مرقبة من أبوي في كل خطوة بخطوها، كنت أشوفه بطلّع عليّ من ورا بوابة لجامعة، أتخيله واقف على الدرج، في القاعة، في الساحة الكبيرة، أشوفه ورا رفوف الكتب في المكتبه، ماشي معي أنا وصاحباتي اللّي تعرفت عليهم جديد، كان يكون راكب معي في الباص أو سيارة العمومي خط رأس العين. كان الموضوع يعمل أرق وضغط نفسي كبير، وما في حدا يقول كلمة إطّيب لخاطر، كل هذا كان يظهر في سلوكي على أشكال كثيرة، لطواء خجل كآبة دائمة وأحيانا كره للحياة وللجامعة ولنفسي.

طبعا صاحباتي وخصوصاً نادية كانت فاهمة الموضوع وتحاول التخفيف عنّي، بس كان تطوري ضعيف واستجابتي بطيئة، كنت بحاجة لقوة كبيرة علشان تغيرني. لحدّ ما تعرفت على إيمان، كنا نحكي عن همومنا بصراحة، نسب مرّات، نضحك مرّات، نبكي مرات، نحكي كلام مش ولا بدّ، بس ما في شيء تغير، إيمان كانت تقريباً مثلي بس اللّي كان كاسر خاطرها مش أبوها، كان أخوها الكبير عاملها بعبع في

الدار، ومش عارف حدا يضعله حد، يوم من الأيام أجت إنصاف على الجامعة بدون حجاب، والكل كان مستغرب عليها، بس كمان الجميع لاحظ إنها بعد ما تركت الحجاب تغيرت كتير، زادت ثقتها بنفسها، وصارت الإبتسامة الناعمة ما تفارق وجهها، ومش بس هيك؛ صارت أشطر من أول، وما تغيب عن المحاضرات، وتمزح وتضحك وما يهمها شيء، نسألها شو اللّي صار معك يا إنصاف؟

تهز رأسها وتقول:

_اللّي كان بده إياني أتحجب سافر، ما بتحجب حتى اقتنع.

طبعاً في دكاترة سبّوا عليها في سرّهم، وفي منهم أثنوا على شجاعتها بينهم وبينها، في طلاب قارنوا في خيالهم كيف كانت وكيف صارت هيك أحلى، وفي بنات حسدوها على شجاعتهم، وبنات لاموها على وقاحتها، بالنسبة إلي لأول مرة في شيء تغير فيّه، بس أكيد ما وصل تفكيري لخلع الحجاب لأنه مثل هيك موضوع بدّه دورة مدتّها 18 سنة علشان أعرف أعمل هيك خطوة، وكمان أنا مش كتير متحمسه لخلع الحجاب لأنه الموضوع مش في الحجاب وعدمه، الموضوع في المخ اللّي تحت الحجاب، وفي العادات والمعتقدات

الإجتماعية اللّي بتحاصر الإنسان وبتمنعه من لتنفس والتفكير والعيش بحرية. كمان ورا الحجلب في ضربة أكلتها من أبوي وأنا في الصف الثاني، بعدها انفتح راسي من الجهة اليمنى لجبيني وبقيت آثارها واضحة، أبوي اللّي مارس كل رجولته وفتونته وعصبيته على جسد طفلة كان عمرها تسع سنوات.

بصراحة نظرتي بلّشت تتغيّر، من جهة أبوي أولاً وأمي ثانياً، وحتى لأعمامي وعملتي وخالاتي ولخولي اللّي ولا واحد فيهم حاول يحكي كلمة حق للزلمة اللّي كان ازمته تزيد كل ما زاد عدد بناته وما كان من بينهم ولد يحمل اسمه، كلهم صاروا منذبين معه. وحدها ستي أم سليمان اللّي بقيت صورتها تكبر في نظري لإنها حتى آخر لحظة وهي تحكي معه وهو ذان من طين وذان من عجين.

تاخذنا بحضنها ومرات تهمس كلام ناعم يدفي قلوبنا البردانه بس ما نفهمه.

كيف تغيرت؟

أولاً تغيّرت قناعتي أنه مش كل الآباء مثل أبوي، وأنه في آباء علاقتهم مع أبنائهم وزوجاتهم أحسن من اللّي شفناه

من أبوي، كمان بلّشت أفكر في التشدد اللّي عايش فيه أبوي واللّي معيشنا فيه، وأنه هذا التشدد من صنع إيده هو، لأنه الدين خالي من التشدد "يسر مش عسر" مثل ما كانت تقول ستي أم سليمان. خصوصاً بعد درلستي لمساق "نظام الأسرة في الإسلام" مع الدكتور نظام، والدكتور الله يمسيه بالخير فاهم الدين أحسن من أبوي بألف مرّة، وافهمت أنه الحياة والدين والآخرة أوسع وأكبر من أن يسعها عقل واحد زي أبوي، وبعدين وين العلم في الدين والحياة والآخرة اللّي بعرفهم أبوي، غير شوية كلام خارج عن سياقه بسمعهم من صاحبه أبو البراء اللّي عبّى عقله وقلبه حقد وغل وكره على الناس، وخاصة على النسوان، عنده النسوان أصل الفساد على الأرض، وهنّ السبب اللّي انطرد آدم من الجنة، والنسوان ناقصات عقل ودين، يعني الدكتور نعمان بحطّه وبحطّ ميّه زيه بجيبته الصغيرة في العلم الشرعي وفقه الدين.

بحكي مع حالي بقول يا بنت اللّي راح راح، المشكلة في اللّي جاي، بكره بتخرّج وبقعد بالدار استنى العريس اللّي بوافق مقلس أبوي، بدعو الله إنّه ما يكون زي أبوي علشان ما أصير أنا مثل أمّي.

بقول لحالي هذا من وين بدّه يحصل، طبعا ما دام التعارف والعلاقات الإجتماعية والعاطفية ممنوعة على وحده مثلي، وبدّي دورة مدتها 30 سنة علشان أعمل علاقة عاطفية، حيكون النصيب يا إبن عمّي يا ابن عمتي، يا بن خالي يا واحد من معارف أبوي.

المشكلة إني كرهت كل اللّي شافتهم عيني وعرفتهم في الفترة السابقة وصعب أقبل حدا فيهم شريك لحياتي، لأني خايفة يكون بينه وبين أبوي صفات وراثية.

ولحدّ ما عريس لغفلة ييجي وشوفه، ولحدّ ما يكون شخص مختلف وبستاهل، ولحدّ ما اتأكد انّه مختلف وبستاهل، حيكون الخوف رفيقي وصاحبي وسلوتي.

الإهداء

أهدي هذا البحث إلى

أبي الذي أشفق عليه وأرجو أن يتغير

إلى أمي التي تستحق المحبة..

إلى جدّتي الحنونه الحكيمه أم سليمان.

الإهداء الحقيقي إلى الدكتور نعمان الذي عرفت على يديه أن الأسرة محبة وليست خوف و رقابة.

وأن الله رحمة والدنيا مسرة، والدين يسر وليس عسر والآخرة شفاعة..

وأن سنوات المعناة السابقة على كثرتها لا تستحق ندمي لأن القادم منها أكثر وأجمل بإذن الله.

(22)

إنتحار مواطن

بعد ما خلص العزا بيومين عرفت، وما عرفت أعزي مين، مصطفى (أبو وحيد) عاش عمره كله يتيم، كان في عمر الخمسين أكثر بسنه أو سنتين لمّا مات أو انتحر، تجوّز صغير من لمّا كان 19 سنة، بنت خاله جابتله صبيان اثنين وثلاث بنات، في القدس درس طباعة في الجمعية لعربيه، هذا الحكي في الثمانينيّات، وبصراحة ما كان في البلد كلّها حدا بفهم في الطباعة وآلات الطباعة مثله، بس كمان كان معروف عنه إنّه نصاب وبعرفش الله، وإذا سلّمت عليه لازم تعد أصابع إيدك وراه.

مصطفى مات فجأه أو انتحر، هيك طلعت الإشاعه، وطبعاً لحنا مش عايشين في السويد، أو سويسرا أو نيودلهي، فكرة أنّه حدا ينتحر يعتبر حادث كبير وخطير، أخطر من سقوط طيّاره، أو جواز ختيار من صبيّه بعمر العشرين، لهيك انتشرت الإشاعه مثل النار في الهشيم، والناس تداولت قصص كثيره، وطبعاً زادوا عليها حوادث وتفاصيل.

الدائره الضيقّه من المعارف والأقارب والجيران أصدروا حكم نهائي عليه أنّه من أصحاب النار خالداً مخلداً فيها، على اعتبار أن الروح لا يأخها إلاّ من وهبها، الله جلّ في علاه.

من وين طلعت فكرة أنه انتحر ما حدا عارف، بس يمكن موته لمفاجئ، وعدم معرفة الأسباب، وإصرار الشرطه على تشريح الجثّه، ساعد في انتشار وترجيح فكرة الإنتحار، وكمان ما في إله ظهر قوي يحط حدّ للإشاعة، أو يقدّم دليل على عدم انتحاره، رغم ما ورد في تقرير الطبيب الشرعي بأنه الوفاة طبيعيه.

ماضي أبو وحيد ساهم في ترسيخ فكره الإنتحار أكثر من أي شيء ثاني، مصطفى كان شخص مش عارف شو بدّه من الحياه، مش عاجبته مرته، مش راضي عن شغله، علاقاته متوتره مع كل البشر، معروف إنه بشرب منكر، لضف إلى ذلك اقاويل عن علاقات مشبوهة، وأفكاره الغريبه اللّي كان يتفاخر ويجاهر فيها، منها على سبيل المثال أنه مش فاهم ليش ربنا خلق الناس، ما كان مقتنع أنه البشر على اختلاف أجناسهم وألوانهم وديانتهم مخلوقين بس علشان يعبدوا ربنا، طبعاً عمره ما صلّى في الجامع، ولا حدا شافه

بيسجد لله، علشان هيك كانوا يحكوا عنّه شيوعي رغم أنّه ما زار الإتحاد السوفيتي ولا قرأ رأس المال[14] بس كان رأسه مليان أفكار غريبه عن تربيتنا ومعتقداتنا السائده، كان يقول: الهندوس والبوذيين والزرادشتين شو ذنبهم، طيب أنا (يحكي عن نفسه) لو ولدت في نيودلهي، كنت رح أكون مثل ابوي وأمي هندوسي، وبالتالي دوز دغري على النار!!

طيّب أنا شو ذنبي، كانت الحوارت والنقاشات توصل مواصيل كبيره بينه وبين جارنا المشترك في المحل الشيخ عّلان، وطبعاً الشيخ علاّن لا هو شيخ ولا يحزنون، يعني معرفته في أمور الفقه والدين، مثل ما أنا بعرف في الفلك أو الطاقه النوويه. واليوم صرت بفكر إنه احد اهم أسباب أزمة مصطفى هو نقاشه العقيم مع الشيخ علاّن.

مصطفى اليوم في دار الحق واحنا في دار الباطل، يمكن يكون هو اليوم عرف الصح من الغلط، يمكن يكون ندم على أفكاره السابقه، يمكن يكون ربنا شفق على حالته وسامحه، يمكن يكون في نار جهنم زي قرص الفلافل في

[14] رأس المال، كتاب لكارل ماركس يوضح علاقة قوى الإنتاج وبأدوات الإنتاج، وعلى أساسه قامت الثوره البلشفيه في روسيا، لكنها لم تصل إلى مرحلة الشيوعيه.

مقلى الزيت، يمكن يكون بيطّلع علينا من ورا ستاره كبيره وبيضحك علينا وعلى الدنيا كلها، كل هذا في عالم الغيب، بس الأكيد أنه بناته الثلاث، وأولاده الإثنين ومرته، هما أكثر ناس رح يدفعو ثمن موته، وإشاعة انتحاره.

مرته رح تسلّمت أنه هذا نصيبه المكتوب من يوم ما أمّه اجوزت أبوه وبعد أربعين يوم من ما حبلت فيه لمّا ربنا نفخ فيه الروح، بس اعتدل بنته لكبيره اللّي كانت مخطوبه لشب من لحاره، تركها بعد ما امّه وابوه حلفوا عليه أنه لازم يتركها.

قالوا له:

_شو بدّك الناس تعاير اولادك في سيدهم اللّي قتل حاله.

وطبعا سحر وقمر بناته كمان رح يدفعوا الثمن لحدّ ما ينسى جيل كامل اللّي صار مع أبوهم، ويروح من بال الناس إنه مصطفى أبو وحيد مات موت ربّه، ولاّ انتحر.

(23)

خالتي أم العبد

كنت أشبّها للممثله "سميحة أيوب" بس عمركم ما تصدقوا إنّه في حدا يمكن يشبه حدا.

50 سنة عاشت ارملة بعد جوزها، وهي ماتت بشهر سته 2017، نسألها:

_ خالتي مواليد أي سنة انتِ؟

_ قديش عمرك؟

تلفّ وتدور حول التواريخ والحوادث، ويبقى عمرها مجهول بالنسبة إلنا..

_ لمّا هاجرنا من حيفا، كنت واعية، مثل بنتك هاي، وتمسك إيد "فلسطين" وتطّلع فيها بس ما يعجبها، أو يخطر في بالها حوادث وصور وناس، تترك إيد بنتي فلسطين، وتقول:

_" بجوز أصغر من هيك، بس كنت واعية، طلعت أنا وأبوي وأمي وعمي وأولاده في لوري[15] حتى وصلنا طولكرم، كنت مبسوطه وأنا راكبه اللّوري، بس أمّي كانت تعيّط ودموعها ما خلصو لحد ما ماتت، بعدين عرفت ليش كانت تعيّط يعني بدك تقول كان عمري عشر سنين، تجوّزت أو العبد في السته وخمسين يوم قامت الحرب في مصر زمن عبد الناصر، ترملت في السبعة وستين، يوم احتلونا اليهود، وكان وجهها يتغر لونه مع كل تاريخ وحادثة.

كل ما أشوف عربايّة فسك على دوّار الشهداء بتذكر خالتي اللّي ماتت بشهر سته 2017.

كان عمرها 80 سنة أقل سنة أكثر سنة مش مهم، بس على الأكيد أنها عاشت أرمله 50 سنة.

[15] شاحنه صغيره.

(24)

بَطّلت أحبه

كل ما بَذّكر اللّي صار بين أختي وجوزها بتشلّم، وكل ما حدا طلب إيدي بَذّكر اللّي صار بين أختي رغد واللّي كان جوزها عامر. وكالعادة برفض العريس كل مرة بحجة جديدة.

نادتني ستّي أم عاطف وقالت لي:

_ روحي اعملي قهوة على الريحة وتعالي أقعدي جنبي.

كانت الدنيا أواخر الشتاء وأول الربيع، وشجرة اللوز الكبيرة كأنّها جبل جليد حجب عنا غروب الشمس .

لمّا جبت القهوة قالت:

_ خلّيها تركد وصارت تحكي عن أشياء كثيرة ما فهمتها وكأنها بتحكي مع حالها.

رَشفتْ من فنجان القهوة وقالت:

_ عارفة يا ستي قديش صرلي أنا وسيدك مجّوزين؟

ما خلّتني أقدّر أو أحسب لسنوات. كمّلت

_ لّبوك العمر قدامة قديش عمره؟

ردّيت:

_ 54 سنة.

قالت:

_ يعني صرلنا 55 سنة متجوزين مش هيك.

هزيت راسي موافقة وكأني بسمع الرقم لأول مرّة، وبصراحة حسيت أنه زمن طويل.

قالت:

– طول هاي السنين اختلفنا كتير، وصار بينا أخذ وردّ مثل كل الناس، بس ما بَذْكر يوم واحد نمت وأنا زعلانه منه، من لمّا كنا عرسان لليوم. وانت بتعرفي قديش سيدك صعب، وعصبي، وسيدك شغلته حَجّار، طول اليوم وهو بباطح بالحجار، كنا نختلف على ولد، نتزاعل على روحة على لبسه على أكله على شربة، بس لمّا يجي اللّيل عمره ما نيّمني زعلانه؛ يظلّ يراضيني، وأنا أرضى.

سألتها:

_ كان في بينكم حب قبل ما تتجوزوا.

ردّت؛

_ ولا كنا نحب بعض ولا نعرف بعض.

قلت:

_ طيّب كيف تعرفتوا على بعض. كيف تجوزتو يعني.

رنت؛

_ مثل ما بتجوزو كل الناس، في هذاك الزمان كان إذا مش ابن عم أو ابن خال، الناس بتعرفوا على بعض من واحد لواحد ، من جارة لجارة، ومرّات كثيرة كانوا الناس مثل ما بخطبو لولادهم، بخطبو لبناتهم.

قلت:

_جدّ!

رنّت؛

_ زي ما اسمعتي. وياما صارت شغلات غريبة بس الناس كانت ترضى وتعيش.

قلت:

_ بس الزمن تغيّر يا ستي.

رنّت؛

_الأشياء اللّي تغيرت، بس الناس معدنهم ما بتغيّر إلا اولاد الحرام.

قلت:

_ كيف يعني؟

رنّت؛

_ أنا بقولك، أبوي الله يرحمه قال لأمي الله يرحمها حضّري البنت، عوده الحمد طلب جميلة منّي وأنا اعطيته،

(عوده هو سيدك أبو عادل، وجميلة هي أنا) زمان ما كان حدا يسأل البنت وهي توافق.

قلت:

_ بس هذا الإشي اليوم مستحيل.

ردّت؛

_ عارف، والبنات صار إلهم رأي، يقبلو ويرفضو، بس لمشاكل بين المتجوزين كثرت، والطلاق صار سهل وكثير، والي صار مع اختك الله يهيدها أكبر برهان.

قلت:

_ أنا هذا اللّي معقّدني، ومخليّني مرعوبة، بعرف إنّه البنت مصيرها تتجوز، بس خايفة يصير معي مثل اللّي صار مع رغد وعامر.

واللّي مخوفني يا ستي أكثر إني بعرف قديش كانوا يحبوا بعض، من لمّا كانوا بالجامعة. وقدّيش حاربوا واتغلبوا حتى تم زواجهم، كان أبوي معارض الموضوع واعمامي كمان، بس رضخوا في الأخير علشان يرضوها، شو اللّي صار بينهم يستاهل الإنفصال مش قادر أعرف ولا أفهم، نسأل رغد ما في على لسانها غير:

"ما بدّي أياه لو كان آخر زلمه في الدنيا"

والحب وين راح يا رغد؟

ترد؛

"بطلّت أحبه.."

تسأل عامر وين المشكلة؟ وين راح الحب والغرام؟

يرد؛

"بنتكم مش بنت عيشه".

كانت ستي أم عاطف سامعتني بكل جوارحها، كأنها بدها إيّانا أحكي للّي على بالي.

سألتها:

_ إيتِ شو رأيك يا ستي، شو السبب؟

اثنين كان بدهم يموتوا علشان يتجوزا بعض، وما في سنة إلاّ وهمّا منفصلين.

ستيّ في تحت شفتها السفلى وشم قديم، يمكن كان الزينه الوحيده المتاحة أيامها، كانت تشبه الفتّاحة وهي بتحكي.

ردّت؛

_أنا مش حقولك شو سبب طلاق اختك من جوزها، أنا حقولك شو سبب إني أنا وسيدك صرلنا 55 سنة متجوّزين.

صحيح إحنا ما تجوزنا عن حب، وما كنا نعرفة ولا نحكي فيه، وكمان يمكن سيدك ما قلّي طول عشرتي معه بحبك إلاّ مرات بنعدو على الأصابع، بس كنت أحس بالحب

في تصرفاته، كنت أشوف الحب في عطفه وحنانه، كنت عايشه الحب باهتمامه وخوفه عليّ وعلى العيلة والأولاد.

يعني يا ستي اللّي زينا ما دوّر على الحب أو ناداه من بعيد، اللّي زيّنا عمل الحب بإيده، بناه نتفة نتفة، طوبة طوبه، من أول يوم، مع كل ولد جبناه، مع كل أكله أكلناها وكبر الحب، مع كل يوم جمعة ويوم أحد، مع الأعياد ورمضان وشعبان، في الصيف والشتا والخريف.

احنا يا ستي بنحب الحياة، بدنا نعيش بدنا نربي أولادنا نكبر فيهم ويكبروا فينا.

أخذتني بحضنها ومن وقتها عرفت إنّه الحب مثل البناية، بنبني نتفه نتفه، طوبه طوبه، مش إشي ضايع منّا ولازم نذّور عليه.

(25)

الدكتور ربيع

أنا الدكتور ربيع نايف محمود العيسى، مواليد الأول من نيسان/إبريل 1964، لم أتزوج حتى الآن، أفكر بالزواج تقريبا بنفس القدر الذي افكر في عدم الزواج، أحمل شهادة الدكتوراه في اللغة والإنجليزية وآدابها، أحببت الحياة بكل تفاصيلها وخانتني.

الحياة تخون محبيها.

عاطفياً؛ توقفت عند العام 1989، وأظن أنني ما زلت أعيش في تلك المرحلة.

نوهم أنفسنا نحن الرجال أنّ المرأة في حياتنا شيء، شخص كمثل باقي الأشياء أو الأشخاص، يمكن التصالح معها أو التخلي عنها، يمكن تبديلها أو حتى حذفها، يمكن الإحتفاظ بها أو لتخلّي عنها. لكن الواقع غير ذلك، حنان ما

زالت تحفر خنادقها في الطبقات السفليّة لقلبي، لكنني أكابر. أعاند وأحاول لتخفي خلف كلمات جاهزه بلا روح، رغم أن مرور الزمن أصبح ثقيلاً، الجامعة ولتدريس والطلاب وفتح هم كلّ حياتي، لكن تأتي تلك اللحظات التي أسخط فيها على لجميع وأود لو أن علاقتنا بالأمكنه والأصدقاء ولتنظيمات علاقة زواج، لكنت طلّقت الجميع وتزوجت حنان، أو أي حنان أقابلها، وقد قابلت الكثيرات، لكنني كنت أجبن من أن أعترف لنفسي أنّ حنان تلك ما عادت تصلح لقلبي، حنان تلك أصبحت أماً لأولاد في سنّ لشباب، بل أن ابنتها نور إحدى طالباتي في لفصل، ولا أحد يعلم سوى الله وأنا وربما أمها.

أحسد هؤلاء لطلاب ممن يملكون من العمر لعشرين، وأشفق عليهم، وكل ما أستطيع فعله هو مواصلة عملي الذي أعتاش منه، ومهمّتي وواجبي في تدريس الطلبة الذي أستمد منه القوة والطاقة لمواصلة لعيش لكن دون متعة كبيرة كما كنت في السابق.

أخيراً لجأت إلى الدين، لجأت إلى الله بعد طول قطيعة معه، فالله غفور رحيم، المشاعر الدينيّة أصبحت تمدني ببعض الحماس والعزاء عن خيباتي في الدنيا.

نزولت قلبي وشطحات جسدي وعلاقاتي المشبوهة أصبحت من الماضي فالإسلام يجبّ ما قبله.

أفكر لو أنّ التجارب العاطفية والإنسانية مثل الدين، بإمكانك في أي وقت تعود لها وتتمسك بها، وكفيلة هي بردم ومحو الماضي برمشة عين، لكن الماضي كيف يمكن محوه؟

الإستاذ الذي أحب طالبته حدّ الهوس.

بعد تخرّجي وعودتي من جامعة القاهرة في العام 1986 إلى أحياء وحارات نابلس، لم تكن الدنيا تتسع لوجودي، غير لشيء الوحيد الذي كان يشوشني وهو العلاقة المعقده التي تربط والدتي ووالدي.

قسم اللغة الإنجليزية في كلية الآداب كان بحاجة للإستعانه بخريجين جدد متميزين كي يبتعثهم للدراسه، تم تعييني في القسم براتب 50 دينار اردني، على امل أن يتم ابتعاثي فيما بعد، وجاءت الفرصة كي أفخر بنفسي وأسعد

بوجودي، كيف وقد أصبحت معيداً في الجامعة غير أن تلك العلاقة الغامضة بين ولدي ووالدتي بقيت تنغص عيشي.

طبعاً الجميع لهم أمهات، ولنا لي أم واحده، ولن أسمح لرجل غير متعلم مثل أبي أن يعامل أمي بهذه القسوة والجلافة، وأن يكون سبباً في نحت ملامح الحزن والقهرعلى صفحة وجهها وفي قلبها.

طبعاً مواجهة أبي تعني مواجهة جبل عيبل بصدرك العاري، وبيديك الفارغتين، فبرغم السعادة الغامرة بحصولي على وظيفة جزئية للتدريسي في جامعة النجاح الوطنية، إلا أن البيت والعودة له كانت بمثابة تنغيص يومي لا بدّ من مواجهته. فجأة ودون سابق خبر ماتت أمّي، ودفنت معها أفراحي وسعادة قلبي، ووددت لو كان من دفنت هو أبي، الجبل الذي لا يبكي، والمشاعر ليست من مكونات روحه، تزوج الرجل الغريب خالتي رقية عشرة أيام بعد وفاة أمّي، خالتي التي تصغره بعشرين سنه وكانت السبب في مفارقته للدنيا بعد أقل من ثلاث سنوات، أنجبت منه أخي صابر الذي بقيت أدفع فاتورة حضوره الخاطئ إلى الدنيا حتى اليوم.

أفراح قلبي لتي دفنتها في قبر أمي، نبتت فجأة، بعد تلك الحادث بسنة ونصف تقريباً وبالتحديد سنة 1989، أحسد هؤلاء الأولاد على عمرهم العشريني، عندما كنت في مثل سنّهم لم أكن أملك وعيهم، كانت مخاوفي تتجاوز أحلامي وطموحاتي. المهم نبتت تلك الأفراح وقدّر لها أن تنبت بفعل امرأة، سلبتها امرأة وعادت لي بفعل امرأة، كانت هذه المرة طالبة تدرس في قسم اللغة الإنجليزية، لها من العمر عشرون، ولي منع خمس وعشرون.

هذه الأرقام عندما تقرن بالعمر، يولد الربيع، تتفتح الأزهار، يسمع خرير الجداول، يتنفس الصباح، يغمرك هواء عليل ينقي رئتين ودمك، هواء ناعم نقي محملاً بالصحة والمحبة.

حنان ظهرت وظهر الفرح، أذاب حضورها ثلوج قلبي، وكأن أمي نهضت من غفوتها الأبدية، وعادت روحي لأفراحها.

في حدا على وجه الأرض بعرف مكانهم، وفي كمان مرة أنا ظلمتها ولازم اعترف بغلطتي لأطلب مسامحتها وأعوضها.

أولادي كمان لازم كل واحد أعطيه حقه بإيده، وبناتي لازم كل وحده توخذ حقها، وما بيهمني شو رح يعملو بالمصاري أو الأراضي أو غراب البين اللّي بطلعلهم، بعطوهم لجيزانهم، بحرقوهم، ما بهمني.

أنا للأسف كتبت وبدون ما حدا يعرف عمارة شارع لمريج لخالد، وعمارة طلعة تونس لوائل، وعمارة الجنيد لنائل، لمصاري اللّي في البنوك أكثر من مليون ونص دينار اردني بعملات مختلفه موجودين بحساب مشترك لولادي لثلاث، كل هذا أنا عملته علشان الكلب جوز نهاد ما يوخذ ولا نكله، والأهبل جوز نريمان ما يتنعم ولا بتعريفه، مهو مش معقول أتعب وأشقى العمر كله ويجي واحد مصدي مثل جوز نهاد يوخذ المال على البارد والمستريح، طبعا بكره ولاّ بعد لسبوع رح يعملوا حجة ارث ويروحي على الطابو وعلى البنوك، وللاسف ما حيلاقو إلا شوية ملاليم.

طبعا رح يسبوا عليّ، حيقولوا الله يحرق راسه، الله لا يسامحه لا دنيا ولا آخره، بس اليوم أنا مش قادر أغير إشي، أنا كنت شايف جوز نهاد ومش شايف نهاد بنتي من لحمي ودمّي، كان كرهي إله عاميني.

عادل صاحبي لروح بالروح، بعرف كل شيء عنّي، بس عارفه ما بحب يدّخل في اللّي ما إله فيه، زعل مني لمّا عرف انّي كتبت عمارة المريج لخالد، وبعديها علشان أراضيه كذبت عليه وقلت له أني رجّعت كل شيء مثل ما كان بس أنا في حينه كتب العمارتين لثانيات باسم اولادي نائل وقل.

مرتي أم خالد بنت عالم ونلس، محترمه على الآخر، كانت تعرف إنّي مجنون وبعملها بس كانت تراهن انّه الزمن كفيل أغيّر رأيي لأنه ما بحب لظلم، بس الزمن اللّي كانت تستنى فيه ما أجا؛ الموت زارني فجأه دون ما أغيّر رأيي أو أغيّر اللّي عملته.

بناتي نهاد ونريمان، أكيد رح يزعلو، بس مش حيقولوا الله لا يسامحه، هذا لحكي ما بطلع منهم، بس من جوز نهاد بيطلع.

لو ارجع عالدنيا 10 دقائق، بس 10 دقائق، أطلب من وائل يكتب هالكلمتين وأوقع عليهم وأشّهد عليهم اثنين، قبل ما يوكلني الدود تحت التراب.

وكمان في ناس كثير أنا ظلمتهم، غشيتهم واستغليت حاجاتهم، وفي واحد استغليت شرفه، هذول مين بدّه يعوضهم علشان يسامحوني، والعمال اللّي بشتغوا عندي، كلهم رح يحضروا الدفنه، بس كلهم حيكونوا مبسوطين أنه الظالم راح، بس عمرهم ما رح يسامحوني في حقوقهم، في الإجازات اللّي أكلتها عليهم، في الخصم اللّي كنت أخصمه عليهم وأستغل بساطتهم وحاجتهم، وإنّي أنا لشاطر وأبو المفهوميّه.

بس أنا لو ما عملت هيك ما كان عندي 3 عمارات مأجرين، وأكثر من 10 عمارات بعتهم وقبضت حقهم، لو ما عملت هيك كان حالي مش أحسن من حال أخوي أبو فادي، أخوي من أمي وأبوي، زلمه في حاله، ساكن في شقه أنا بعته إياها بالتقسيط الممل جداً، بستنى راتب الحكومه آخر الشهر، ويا دوب معيّش اولاده، سياره ما عنده، بس كمان ما ظلم

حدا، ولا حرم بنلته، وما تعامل مع البنوك ولا حدا إله عنده إشي.

شو اللّي عملته في حالي.. بس لو أرجع نص ساعه أجمع كل لناس اللّي تعاملت معهم، عمّال، مهندسين، قصّيره، بلّيطه، عمال تمديدات الكهرباء والميّه، الطريشه، أصحاب الشقق اللّي بعتهم وظلمتهم، المستأجرين، أصحاب شركات الباطون ولحديد ولرمل والإسمنت، أصحاب مناشير لحجر، عمال الموايمه اللّي لستغليت حاجتهم للشغل، وكل واحد تعاملت معه، أجمعهم وأطلب منهم لمسامحه، وأقول للجميع، كل واحد يقول على حقه ويوخذه بإيده، حتى جوز نهاد، يوخذ حق مرته مثلها مثل اخوتها هو وعديله جوز نريمان؛ نص ساعة، أنا شخصياً ما بدّي إشي، بس أرجّع حقوق لناس، واخوي أبو فادي أقوله خذ سيارتي الجيب هديه، وأحسن شقه في أي عماره حلال زلال عليك، وقول عن المبلغ اللّي بدك إيه حلال مبارك عليك.

سمعت صوت الشيخ الطبلاوي بيرتل الأية الكريمه.

"وكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد"

لمّا كانوا بحملوني على الأكتاف، كان في باقي كلام كثير بدّي أحكيه، وفي ناس لازم اعتذر منهم، واطلب منهم لمسامحه، حاولت اصيح بكل صوتي أنهم يستوا شوي بس أخلص كلامي، وكمان في مصاري أنا مخبيهم في منطقه الجن الأزرق ما بعرف وينهم، كنت بدّي أحكيلهم ..... بس صوتي ما كان يطلع، وهمّا ما بدهم يسمعوا.

تقريباً اللّي حضروا الدفنه، بعرفهم بالواحد، وبعرف مشاعرهم ، في ناس كانوا مبسوطين، وفي ناس مش فارقه معهم؛ واحد مات مثل ما الجميع رح يموت، والقليل القليل كانوا فعلاً زعلانين إنه صار أسمي المرحوم.

سمعت أصوات كثيرة بتقول "وحدّوه" وقدرت أميّز بماء وصراخ نهاد ونريمان من بين كل الأصوات، بس ما قدرت أسمع المسبات أو أشوف الفرح اللّي في صدور عمّالي اللّي ظلمتهم، لأنهم كانوا كثار.

(27)

"الزلام كلهم قارين على شيخ واحد"

فكركم كم واحد منّا؛ من معارفنا وأقاربنا فاهم حاله، فاهم شو بدّه من لدنيا، راضي عن حاله وعن اللّي بين إيديه.

أعتقد أنهم مش كتار، وإذا الواحد رضي ليوم؛ بكره مش مضمون.

دنيا مش استثناء.

ودنيا هاي أنا..

شو بلزم الوحده علشان تتجوز ويكون إلها بيت وزوج وأسرة وأولاد أكثر من أنها تكون حلوه ومتعلمه وبنت عيله؟

أنا كل هاي الأشياء عندي..

حلوه، حتقولوا شو عرّفك..

ممكن تفسرولي اهتمام كل لرجال عزابيه ومتجوزين فيه، ونظراتهم وعيونهم اللّي نفسها توكلني، جسمي من لمّا وعيت على الدنيا وأنا بهتم فيه، وهذه عاده تعلمتها من أمي الله يرحمها، كانت كل يوم تخصص نص ساعة للعناية بكل شيئ في جسمها، غسول وكريمات ترطيب للوجه، لليدين

والقدمين، كحله ومسكارة وروج وكريم أساس وبارفانات من أغلى لماركات، طبعاً اللّبس حدّث ولا حرج من أفخر الماركات وآخر الموديلات، وفوق هذا الميزان جنبي على طول أتوزن تقريبا كل يوم، وعمر ما وزني تجاوز الستين، صدري شامخ وحلو، بشوف الشباب كيف بطّلعوا عليه عينك عينك، والأكبر منهم بسرقو النظرات سرقه، شو كمان، بشرتي بيضه وناصعه، عيوني وأنفي وتمي متناسقين. وكلّي على بعضي هيك بجنن، بس ما زبطت مع ولا عرص إنّي أتجوزه واستكفي هم هالدنيا.

متعلمه؛ في لتوجيهي جبت 94.6 أدبي، ودخلت أدب عربي حبي من زمان، تخرجت من الجامعة بتقدير جيد جداً، وبعدها كملت ملجستير، وهلأ أنا بداوم في مديرية التربية موجهة مادة اللغة العربيه.

بنت عيله، أبوي كان مدير في لمالية زمن اليهود، حصل على تقاعد مبكر لمّا أجت السلطه، ما عرف يتفاهم مع النظام والموظفين الجدد، أخوتي أربعة موزعين على قارات العالم، مفيد في دبي بشتغل في بنك، رامي في أمريكا مهندس في شركة اتصالات في فلوريدا، عامر في لصين، فاتح

مكتب تسهيلات، وعدنان في اوروبا بتنقل بين مدن أوروبا بشتغل في HP، وأنا البنت الوحيده بينهم وآخر العنقود.

صار عمري 36 سنه، وإذا بيطلع الكر على لمآذنه بتجوّز، زمان كانت أمي تدعيلي في الصلاة إنه الله يرزقني بابن الحلال، بس لا ابن حلال أجا ولا إبن حرام.

وأنا في الجامعة زي كل البنات، حبيت شب، تخرج الأخ من هون وسافر من هون، وكالعاده رجع بعد سنتين وعرفت إنه تجوّز بنت خاله، بعدها حبني شب أصغر مني بثلاث سنين، قلت يا بنت خلينا نتسلّى، طلع المحترم هو اللّي بدّه يتسلي فيه، تركته ودوّر هو على وحده تانيه يتسلّى فيها.

في الماجستير حبني الدكتور نواف، واتبيّن أنه كل فصل لازم يحب وحده، وعلشان هيك مش متجوز ولا رح يتجوز.

من سنه تقدملي واحد معرفه قديمه من جهة عمّاتي، بس كان بيني وبينه شي 14 سنه، وكمان كان ضخم، كنت أتخيله ممكن يخنقني أو يكسر عظامي إذ نمنا سوا.

" مرة بدون جوز، حديقة بدون سياج"..

قالت لي هذ المثل صاحبتي حنان، بس كان القطار فلت، المره بدون رجل حديقه بلا سياج، يعني أي حدا بيجي على باله يفوت على الحديقه ما في شي بمنعه.

أنا هيك مبسوطه، بالعكس إلي عالمي وصاحباتي، في منهم متجوزات وفي عازبات مثلي، في كثير شغلات حلوه ممكن نعملها ونستمتع فيها، وكمان معي مصاري ومش بحاجة لحدا، بس في الإجازات والأعياد بَمل كثير، والوقت بمر بطيء وقاسي.

زمان كنت أتمنى أني أجوّز، أني المس رجل، يحضني رجل، يحبني وأحبه، أجيب منه اولاد، نتزاعل، نتصالح، ننام نصحى نوكل مع بعض، بس كل يوم وكل مطلع شهر قمري

كانت هذه الأمنيات تتقلص، وكمان بعضها تلاشى وانتهى، وتقريباً ما عاد عندي رغبة في شيء.

في المده الأخيرة لقيت عزائي في الدين، أصلي واقرأ قرآن، طبعا مش علشان الله يبعتلي ابن حلال أو حدا يستر علّ مثل ما عمتي نورة بتدعيلي، بس لقيت في الصلاه والقرآن والدعاء تسلاية وعزاء كبير.

الموقف اللّي صار من يومين كرّهني في الزلام كلهم وشكرت الله أنه ما تزوجت ولا عرفت الزواج علشان ما أعرف الخيانه.

زوج صاحبتي في التربية، كانت علاقتي فيه لطيفه بحكم المعرفة بيني وبين مرته، كنت أنا أعلى منه، وكنت بعرف إنه نظراته مش بريئه، بس أنا تعودت على نظرات الذكور، كلهم قاريين على شيخ واحد، وزي بعض، بقول في عقلي خليه يتسلى، بس قبل يومين الموضوع زاد كثير عن حدّه، الأخ مسك إيدي، انتفضت مثل العصفور، ضربته على وجهه، قلي أنه بيحبني وإذا بوافق مستعد يتزوجني، سبيت عليه وتفيت على شيبته، وطلبت نقلي.

الكلب؛ مرته اللّي هي صاحبتي ظفرها برقبته، عرفت بعدها إنه ما خلّى كلمه عاطله ما حكاها عليّ لمرته ولباقي الزملاء في الدائرة.

من يومها بطلت أحط مكياج؛ بطلت أفكر انّه الزواج نعمه، وثبت أنه الزلام كلهم قاريين على شيخ واحد.

(28)

يوم الصفا ما بتفوّت[16]

بدّي أحكيلكم قصتي من طقطق لسلام عليكم، مش تقولوا عنّي مجنون، أو بآمن بالخرافات، لصلاً حياتنا كلّها خرافه كبيرة.

كمان اللّي صار معي مش صدفة، لأني ما بآمن بالصدف.

يمكن يكون الفقر خرافة أو صدفة!

يمكن يكون اليتم خرافة أو صدفة!

ممكن يكون الصدق خرافة أو صدفة!

يمكن يكون الحب خرافه أو صدفه!

يمكن يكون الموت خرافه أو صدفه!

أنا ما بعرف وما عندي أجوبه.

بعد ما أبوي وأمي وصلت المشاكل بينهم للطلاق، لأسباب بعرفها بس بتحفظ عليها، دوّرت على ما خف حمله وغلى ثمنه، وقلت للدار واللّي فيها اودعناكم.

---

[16] هذه الحكايه سمعتها من والدتي عشرات المرات، التي تمتلك سحراً خاصاً في سرد القصص.

مشيت في الخلا أيام، ما سمعت غير صوت لبوم، وحفيف الشجر، (حفيف الشجر وفحيح الأفعى)، هيك علّمونا بصف خامس.

من بعيد شفته، كائن خرافي صعب أوصفه، كان يلعب بالنرد، سألته"

_ شو بتعمل؟

_ ببيع مناصح[17].

ردّ

سألته:

_ بكم النصيحة

_ دينار.

ردّ.

_ أعطيني وحده.

وناولته دينار

_ "حبّ حبيبك ولو أنه عبد أسمر".

ناولته دينار ثاني

_ أعطيني وحده ثانية.

---

[17] نصائح.

_ "من أمّنك لا تخونه ولو كنت خاين".

كنت بعيش حالة يأس حقيقيه، ناولته الدينار الأخير من دون ما أفكر في الموضوع ولا أحكي نص كلمه.

قال:

_ "يوم لصفا ما بتفوّت، ولو على قطع الراس".

سلّمت عليه وكمّلت المشي دون ما أعرف وين أروح.

لمّا غابت الشمس، فردت الزواده اللّي حملتها من الدار، جبنه وخبزه وخياره، أكلت ونمت، الأرض فرشتي ولسّما لحافي.

الصبح صَحّاني زلمه قصير وملیان غامض وطیب، لابس دیمایة وحطه وعقال[18]

_ من وين الأخ؟

سألني

رديت.

_ من بلاد الله الواسعة.

_ ما عندك أهل

_ كل الناس أهلي.

_ تشتغل

---

[18] الزي الشعبي الفلسطيني للرجال في فلسطين.

سألني ورديت

_نعم.

قال

_امشي وراي..

طول الطريق هو ما حكى ولّا ما طلّعت صوت.

وصلنا؛ كان عنده مطحنة، علّمني الشغلة في ساعة ودار ظهره، المسا جاب أكل وأخذ الغلة وما حكا غير كلمتين،

_نام هون وأنا بسكر عليك، بكره الصبح بصلي الفجر وباجي نفطر مع بعض.

أنا أكلت لقمة ونمت من التعب على وجهي.

بنص اللّيل والدنيا زي الكحل، صحّاني إشي أسود كلّنا عبيد لله، ضخم، راسه كان واصل السقف، على كفه بنت سمرا، بياض عيونها واسنانها كانوا يلمعوا على ضو القمر اللّي جاي من الطاقه. وعلى الكفّ الثانيه بنت بيضا مثل فلقة القمر.

صحاني وقلي..

_ قوم، وما تخاف..

أنا ارتعبت، عمري ما شفت واحد هيك شكله، سألني

_ مين أحلى؟ لسمره ولاّ البيضه؟

انا أول مرة بشوف هيك منظر، هو اسمر عبد، كلنا عبيد لله. وعلى كفّه وحده سمرا وعلى الكف الثاني وحده بيضا، بس تذكرت النصيحه اللّي دفعت فيها دينار.

قلت:

_ "حب حبيبك ولو انّه عبد اسمر"..

انبسط واعطاني مجيديه[19] ذهب وقلّي ارجع نام.

حطيت المجيديه بجيبتي ونمت.

الصبح صحيت على صوت صاحب المطحنه، تفاجأ لمّا شافني.

كان معه فطور ومعه كيس فيه قماش أبيض بنفع كفن، ناولني الكيس وقلّي:

_حطه في مكان اشوفه فيه.

ودار ظهره ورجعت أنا لشغل المطحنه.

بعد غروب الشمس تكرر نفس السيناريو، جاب معه عشا، اعطيته الغله، أعطاني أجرتي ربع دينار وسكر لباب من بره وروّح.

---

[19] قطعة نقديه من الذهب.

نفس لسيناريو حصل مع العملاق اللّي راسه كان واصل السقف، وسألني:

_ مين أحلى؟ لسمره ولاّ البيضه؟

تذكرت النصيحه اللّي دفعت فيها دينار.

رديت :

_ "حب حبيبك ولو انّه عبد أسمر.."

أعطاني مجيديه ذهب وقلّي ارجع نام.

حطيت المجيديه بجيبتي ونمت.

الصبح صحيت على صوت صاحب المطحنه، تفاجأ لمّا شافني، أفطرنا، ودار ظهره هو وأنا كمّلت شغلي.

السيناريو نفسه كامل تكرر لمدة شهرين، في اللّيل يطلع لعملاق الأسود يسألني نفس السؤال أجاوبه نفس لجواب، يعطيني مجيديه، أحطها في جيبتي وأنام، لبو معروف صاحب المطحنه الصبح يكون معه الفطوروكالعاده يتفاجأ، وأنا أكمّل شغلي.

مرّه من المرات مرض الحج، رحت أزوره على لبيت، استقبلتني مرته؛ واضح إنها كانت مغروره بجمالها، مش كبيره بالعمر، بس كانت تعمل حركات ما عجبتني.

قبل عيد الأضحى أجا الحج وقلي إنه بدّه يروح يزور بيت الله الحرام، وطلب مني أدير بالي على المطحنه وعلى أهل بيته، أزورهم كل اسبوع مرتين أو ثلاث قضي حوائجهم. الحج الغامض غريب الأطوار سافر للحج، وصرت أنا أروح على بيته أسأل مرته إذا لازمهم حاجات أقضيها.

يوم وقفة عرفه كنت صايم، رحت بدّي أشوف إذا لازم أهل بيت الحج أبو معروف أغراض للعيد، شافتني مرته، كانت والعياذ بالله لابسه ومش لابسه، وصار معي بالضبط مثل اللّي صار مع سيدنا يوسف الصديق، بس أنا تذكرت النصيحة اللّي دفعت فيها دينار

"من أمنك لا تخونه، ولو كنت خاين"

هربت من الدار واستغفرت ربنا وطلبت لمرته الستره.

رجع الحج الغامض، تحاسبنا على الفتره اللّي غابها، أعطيته حقه، واعطاني حقي.

بعد أسبوع من رجعته، طلب منّي، أروح على صبّانة النور في واد التفاح، وأقولهم بالحرف:

_عملتوا للّي طلبه منكم الحاج أبو معروف؟

وفعلاً رحت على لصبّانه، بس في لطريق كان في زفة عريس، وكان في حدّايه، والنلس فرحانه، وأنا صرلي زمان الفرح ما دخل قلبي، ما شفت حالي إلاّ وأنا داخل مع النلس وبغني وبصفق معهم، صحيح تذكرت أنه معلمي طلب أروح على الصبانه واسألهم إذا عملوا اللّي الحج أبو معروف طلبه منهم، بس كمان تذكرت لنصيحه الثالثه اللّي دفعت فيها الدينار الثالث والأخير.

"يوم الصفا ما بنفوّت ولو على قطع لرلس"

قلت لحالي، الحاج أبو معروف مش رح يزعل، الوقت بعده بكيّر، بروح على لصبانه بس تخلص زفّة العريس.

فعلاً، خلّصت الزفه، تطينا مع الحاضرين ورحت على الصبانه.

_العواف يا غانمين.

_ الله يعافيك.

رد واحد راسه كبير واصلع وثمّه بدون لسنان.

_ أنا بشتغل مع لحج أبو معروف في المطحنه، عملتوا اللّي طلبه منكم؟

ردّ واحد تاني عينه اليمين كريمه[20] بس طويل وأسمر.

---

[20] أي عينه معطوبه، لا يرى بها.

_ سلّم على معلمك أبو معروف، وقلّه من زمان.

رجعت على المطحنه.

الحج أبو معروف رجع بعد صلاة الظهر على البيت، ينام ساعه وبعدها يتغدّى، بس مرته كانت غير موجوده، سأل عنها قالت بنته انها طلعت من ساعه تقريبا مشوار وما رجعت، نام مثل عادته، ولمّا صحي كانت مرته ما رجعت على الدار، خلص النهار وآجا اللّيل والمره ما رجعت، ما راح على المطحنه مثل عادته، واللّيل كلّه ما واحد في الدار غمض له جفن، من الفجر صلّى الصبح وراح على المطحنه، فتح الباب، كنت أنا سكرته من جوه بالمفتاح علشان إذا صار معي شيء؛ يعرف أبو معروف يفتح بدون مشاكل، طبعاً كانت المفاجأه واضحه بوجهه، سألني سؤال واحد.

_ رحت مبارح على الصبانه.

ردّيت:

_ طبعاً.

ما حكى ولا نص كلمه، بس كان وجهه تعبان وغموضه زاد أكثر.

في الصبانه، كانت المفاجأه.

سأل الزلمه ابو راس كبير واصلع:

_عملتوا للّي حكيت عنه مبارح؟

_طبعاً.

هون خيوط الفزوره كملت براسه، سأل مين اللّي أجا؟

_ مره باين عليها بنت ناس فوق، كانت لابسه وملبسه.

لطم ابو معروف صباحه بكفّه وما حكا ولا نص كلمه.

عرفت فيما بعد، انها وبعد ما رجع الحج أبو معروف من الحج، لتهمتني أني حاولت معها وفهّمت جوزها الحج أبو معروف إنّي كنت بدّي اعتدي على شرفه، وهو طبعا لازم يصدق مرته، ويتهمني، علشان هيك هو راح على الصبّانه، وقلهم بالحرف:

_في اليوم لفلاني، إذا حضر عندكم أي بني آدم وقلكم عملتو اللّي حكالكم عنّه الحج أبو معروف، ارموه في طبخة الصابونه، حتى لو كنت أنا.

وهذا بالضبط اللّي صار.

الحاج أبو معرف بلع الموضوع، بعد يومين أجا لعندي، وطلب مني يعرف قصّتي.

قال أنه شغّل عنده عشرات في المطحنه، وكل يوم كان يفتح المطحنه يكون الشغيل مخنوق، وكان بدّه يعرف شو

بالنسبة للتبريد والتدفئة، أيامنا لازم جسمك يتولّى مسؤولية التدفئة في الشتاء، وفي الصيف عرقك كفيل انّه يعمل تبريد ذاتي لمّا تمّر نسمة صيفيه على السطح.

أولادي اليوم عندهم تدفئه مركزيه وتبريد مركزي، وبيقولي هاني أنه لحياة مملّه.

المواصلات كمان كانت حكايه أخرى، طبعا إذا ما إلك إشي في البلد ممنوع تروح وتيجي هون وهناك، وبالتالي كان يمر اسبوع وشهر ما أوصل الدوار، لأنه هذا بدّه مواصلات والموصلات بدها مصاري والمصاري مش موجوده لمثل هيك ترف، فقط إذا مضطر ولازمك إشي مهم، فكانت لوالده تجمّع كل اللّي بدها ايّاه علشان تعمل زياره للسوق وتجيب حاجيات الدار، وكان هذا اليوم يوم فرح كبير، لأنه لوالده الله يعطيها لعافيه كانت تجيب معها هريسه، والهريسه، يا دوب نص كيلو، يعني تمد إيدك تلحس أصبعك وفجأه الأشياء تختفي.

هاني إبني البكر واخوه عمر وخولته؛ المواصلات عمرها ما كانت همّ بالنسبه إلهم، في سياره بسائق تحتهم يوصلوهم وين ما بدهم، وفقط لأني ماخذ موقف من لمّا صار حادث مع إبن خالي سعد وعمل حادث بالسياره وقلبت فيه في

الجبل الشمالي ومات، حلفت ما في ولد أو بنت بيسوق سياره إلاّ بعد ما يصير زلمه ويتجوّز ويصير وراه اولاد.

وطبعا كل يوم في حفله، وفي مشوار وسهره، وروحه وجيّه، وكل فتره والتانيه في سفره على عمّان يشوفو صحابهم، أو أولاد عمهم.

نحكي عن الحريه، الحريه هاي كلمه ما عرفتها الاّ على لسان أصغر بناتي ندى، أيامنا كانت كلمة الحريه مش موجوده أصلا في القواميس، وبدل منها كانت الطاعه وحاضر وأمرك ومصلحة الجميع.

تقول أنا حرّ بدي أسهر مثلاً، بتلاقي أصابع أبوك معلمات أسبوع على خدّك، تقول مثلا بدّي أنام عند صاحبي، بتوصل أبوه لصاحبك مسبه وهو نايم في دارهم، مضاف إليها مسبة لأبوك أنت، تقول بدّه صاحبي يجي يزورني، يوم أو يومين بتروح تتام عن دار سيدك حتى ينسى أبوك مثل هيك طلب، طبعاً البنات ما كانوا أصلا بدهم إشي لأنه ببساطه ما في إشي ممكن يتحقق، الحرية الوحيده موجوده في الأحلام اللّيليه، بس مثل ما درسنا في الجامعة الأحلام إنعكاس للواقع، أو تنفيس عن كبت الواقع.

اليوم لحريه صارت خبز وملح لحياه، البنت والولد بقولك حقي، إذا إنتَ شايف أنّه غلط أنا مش شايف، في الصف العاشر اختلف أنا وهاني على موضوع نسيته، بس ما نسيت طريقته في الإقناع، راح جاب قلم فلوماستر ورسم على الأرض رقم سبعة بالعربي حاولت أحتج، قلي طوّل بالك، وسألني شو شايف قلت له سبعه، قال لي بس أنا شايفه من جهتي ثمنيه، طبعاً عرف كيف يقنعني بوجهة نظره، بتخيّل لو أنا عملت هذا الإشي مع أبوي، يمكن لليوم بوكل ضرب.

هاني ليوم عنده حريّه أضعاف أضعاف اللّي عرفناها.

طبعاً الظروف اللّي عشناها، وصعوبة الحياة والأيام كانت حافز قوي للعمل والدراسه ، أنا وأخوتي وأخواتي كلّنا درسنا، وما تتخيّلوا كانوا الآباء ينتظروا نجاح أولادهم أبوي أنا كان ينتظر رسوب أولاده، وكان يصلب بخيبة أمل كبيره لمّا لواحد ينجح، مش معنى هذا الحكي أنه ما ينبسط، بس كان يحسب الموضوع من وجهة نظر تانيه، النجاح يعني دراسه والدراسه يعني مصروف، ويعني كمان حرمان من أيدي عامله جديده ممكن لو تشتغل في لطوبار أو في المصانع وتعمل مصاري.

كانت العطله لصيفيه فرصه لنجمع مصاري علشان مستلزمات لمدرسه للسنة لجاي إلنا ولخولتنا، أنا شخصيا ما خلّيت إشي ما بعته؛ تمريه، سمسميه، هريسه، علكه، بليلا، عنبر، مهلبيه، مصاص، ولمّا كبرت على الحسبه يا شباب، أنا وأخوتي كلّنا تخرجنا من لحسبه، طبعا ما يروح بالكم بعيد، ما كنا تجار أو سماسره، كنا عتّاله على عربايات، وكمان كانت فرصه نروّح على الدّار بشوية خضار أو شويه فواكه نص عمرها، وفي لصيف بطيخه أو شمامه، لخ ..

بفكر في هاني اليوم كيف بتمر العطله سهر، ولعب وأفلام ونت، وزيارات، وحفلات، بفكر كيف كنا راضين ومبسوطين، وأولادنا اليوم لمّا تسأل لواحد عن حاله ببرم بوزه شبر وما بيجاوب.

مرات بفكر، ممكن الفقر كان حافز إلنا، يمكن الحاجه كانت عامله إلنا دافعية كبيره، والوفره والإمتيازات مش مخليه هاني وأشكاله يفكروا بالمستقبل.

بصراحة هذا الموضوع بفكر فيه كثير وشاغل دماغي، وبحاول ألاقي حل جذري، مش معقول تكون هذه الرفاهية

والأشياء الماديه موجوده بحياة هاني وهو مش مبسوط ومش سعيد وما عنده طموح، ولا أمل في بكره.

مبارح بالليل مرتي قالت شغله غايبه عن بالي:

-هاني ضحيّة نجاحك، هاني لمّا بفكر إنّه يحلم بإشي بلاقيه جنبه وبين إيديه، أنت مش مخليه يحلم بإشي، مش تاركه ينجز حاجه، كل إشي جاهز، كل طلباته مجابه، كل أحلامه منجزه، والإنسان مهما كان ومين ما كان لازمه حافز، دافع، هذا الحافز كان موجود عندك وهو الفقر والمعيشه الصعبه، بس هذا الحافز غايب عند هاني وأشكاله، علشان هيك هو كسول، بيأجل، معندوش طموح، طموحاته تافهة وصغيره، أمله مش كبير، والأمل علشان يكون كبير بدّه عمل كبير، علشان هيك هاني وأشكاله ما عندهم هذا الأمل علشان هيك ما بعملوا كثير.

كلامها كان قاسي جداً؛

طول اللّيل نمت.

فكرت فيه مزبوط ولقيت إنّه صحيح، أنا من حبي لأولادي ومن من ذكريات الفقر اللّي عشتها بسبب الفقر، كنت بدّي أعوّض كل إشي، بدّي أولادي يعيشوا غير.

بس يبدو أنّه كمان في هاي كنت مخطئ

وانّه لازم هالي واخوته يكون موجود في حياتهم تحديات تدفعهم للعمل والطموح.

لحظتها أدركت أنّه هالي أبني البكر هو ضحيه لنجاحي.

(36)

في المخيم

أنا عمري ما عشت في المخيم، ولا حتى زرت مخيم في حياتي، من لمّا كنا صغار ارتسمت في أذهانا صوره مشوهة للمخيم، طبعا رسمها أبوي وأمي والعيله ولصحابي.

المخيم بيئه غير صحيه، المخيم كلّه زعران، الناس للّي عايشه في لمخيم مش معروف أصلها من فصلها، المخيم فقر وبهدله وذل وكسل الخ..

وبالرغم من أنه بيتنا ما كان يبعد عن أقرب مخيم أكثر من 3 كيلو متر، إلاّ انّه إنغرس فينا إحساس أنه هذا المخيم وكل مخيمات اللاجئين في فلسطين والأردن وسوريا ولبنان بشبهوا بعض، وكأنه سُكّان المخيمات كائنات فضائية هبطت من كوكب زحل أو من المريخ واستوطنو بلاد الشام، والمواطنين الصالحين من أمثالنا بتحاول تطردهم أو تبيدهم أو تحاصرهم حتى ما يفسدوا هوا ولا ميّة هاي لبلاد.

بصراحه هذه الأفكار عاشت وعشعشت في رأسي طوال هذه لسنوات، على لرغم من للّي سمعناه وشفناه خلال الإنتفاضه الأولى والثانيه، وعلى الرغم إنه درست مع طلاب من سكان لمخيمات في نابلس، وتعاملت معهم، وكانوا عادين ومحترمين وأطيلب مثلنا مثلهم، بس لمخيم بواقعه لجغرافي، وهواؤه وماؤه وناسه كان بعبع، غول ممكن بأي لحظه ينقض عليك ويبلعك.

الأسبوع الماضي اتصل فيّه ولحد من طرف نسيبي وصديقي أخو المدام "أبو ثائر"، وقال إنه أبوه تعبان ورافض يزور الطبيب، فإذا بالإمكان أعمله زياره، وهو أبدى استعداده لدفع أي مبلغ، أنا من طبعي بكره زيارة المرضى في البيوت وهذا معروف عني في البلد، هذه القاعدة نكسرت مرات قليله، الزلمة كان في صوته نبره حزينه ورجاء كبير، حاولت اسأله عن حالة المريض ما استفدت، بس عرفت أنه هزل وضعف عام وفقدان للشهيه بسبب كبر السن، طلبت منّه العنوان، قلي أنه في مخيم بلاطه، أنا شوي سكتت وكأني تفاجئت بحدا غايب من زمان وفجأة شفته واقف قدّامي على الباب، ما عرفت شو أحكي، بس أنا موقفي من زمان انّه لمخيمات ما أروح عليها.

بس كمان أنا صرت بنص الطريق تقريباً، وافقت وطلبت العنوان، وكمان ما بدّي أزعّل نسيبي أخو المدام، وإذا زِعل بتزعل أمّه اللّي هيّ حماتي، وإذا زعلت حماتي بتزعل مرتي، وإذا زعلت مرتي الدينا كلها بتكون زعلانه وأنا ما بقدر أزعل الدنيا مني، لأنها أعطتني كثير، أكثر ما بستحق.

وافقت؛ اخذت العنوان من الزلمة واتفقنا بعد العصر أحكي معاه ينتظرني قرب بئر يعقوب.

بس طول لوقت وفكري يروح ويجي، كيف بدّي اروح على المخيم، وإذا أبوي بيعرف، بس أنا دكتور وعندي مهام ووجبات انسانيه كبيره، وبالتالي كل هاي الحسابات مش لازم تكون عائق في سبيل إتمام واجباتي الإنسانيه، ومن هذا الحكي، صليت العصر وكتب ورقه وطويتها وحطيتها على مكتبي دون ما أحكي لحدا وين رايح، ولو حكيت مسبقا كانت دعاء رح تعترض وتحكي مع أبوي اللّي كان حيوقف بحلق لباب ويمنعني بقوة السلاح لّي ما أروح حتى لو كان المريض أبو بكر الصديق.

المدام تعودت ما تسأل لأنها بتعرف التزاماتي مع المستشفيات والمرضى والمستوصف والعياده، تركت الجيب

وركبت الأوبل حتى ما اولاد المخيم يقحطو دهان جيب المرسيدس موديل السنه، ولمّا صرت في شارع جمال عبد الناصر، مقابل إسعاد الطفوله، لتصلت في الزلمة، ولتفقنا نلتقي عند بئر يعقوب.

فعلا كان لزلمه لطيف جداً ركب معي وطول الطريق وهو خجلان من ازعاجي ويشكر حضوري، كانت المرّه الأولى في حياتي بدخل مخيم، مشينا في طريق ضيق على يسار مدرسة الوكاله، طبعا كنت أمشي ببطئ شديد حتى ما أتفاجأ بولد يخرج من المداخل الكثيرة على اليمين واليسار، كنت خايف إذا سياره قابلتنا من الإتجاه المقابل شو كنت رح أعمل، لشارع كان ضيق كثير والمداخل منتشره على اليمين واليسار.

بس بعد شي 120 متر طلب مني أوّقف، وبصعوبه ركنت السياره.

بأقل من رمشه عين كان في أكثر من 20 ولد من أعمار مختلفه صاروا محوطين لدكتور اللّي حامل شنطه وجاي يداوي المخيم.

بيت ممكن بكل بساطه توخذ صور إله من الداخل وتقول انّه في أرقى أحياء باريس أو اوسلو، أو دبي والجميع يصدق ويقول آمين. بيت بيناسب الدكتور رشدي غالب، خريج أرقى وأعرق جامعات العالم، لأنه بستاهل كل خير.

كل هذا تذكرته لمّا دخلت البيت في لمخيم، كان بيت بسيط، المدخل بوّابه حديد تعاقب عليها أكثر من لون في أكثر من حقبه زمنيه، في فراغ بينها وبين مدخل البيت بعرض 80 سم، موجود فيه شوية كراكيب، الباب الداخلي يفضي إلى إشي سمّاه الشاب اللّي معي قعده، وهو عباره عن مساحة لا تتعدى 2 متر في 3 متر موجود فيها كتب كثير قديم ، وطلب مني ارتاح شوي حتى يجهز والده، كانت ست كبيره بتمشي مثل البطريق خرجت من الباب ورحبّت بي كأني إبنها لغايب من أيام حرب 1967، أنا زاد توتري، بس كمان بلّشت احس بشئ من التعاطف مع المكان، وهذا شي تعلمناه في الجامعه، صحيح أنت بتدرس تتشريح وباطني وباثولوجي، بس كمان إنت تعاملك مع بشر إلهم مشاعر، وعندهم ظروف، ودوافع وغرائز وعواطف.

شوي طلع الشاب بمنتهى لخجل والأدب طلب مني ادخل عند الحج على غرفته.

كنت بعتقد أنها غرفة على الأقل مثل غرفة نوم حماتي 4 في 4، مش حقول فيها ماستر بس على الاقل توسع غرفة نوم، الغرفة مش أكثر من 3* 2.8 متر، أو يكون فيها شباك واحد يدخل منه الهوا والشمس، بس الغرفة هذه اللّي ما شفت مثلها ولا مره بحياتي، فيها خزانه ثلاث دفات قديمة جداً، سرير حديد فرّادي وثلاث كراسي بلاستيك حجم صغير، ومرّه ثانيه استدعيت كل المشاعر الإنسانيه والكلام اللّي تعلمته بخصوص مشاعر المريض وتحولت مشاعر الإمتعاض إلى مشاعر تعاطف.

السلام عليكم يا حاج.

كيفك..

كان جالس على طرف السرير، راسه أكبر من جسمه، لابس جلاّبيه لونها أسود، هزيل هزل شديد. رفع راسه، للوهلة الأولى ما شفت عيون، شفت دملين كبار موجودين بوجهه، دملين فيهم تعب وحزن، خوف وخيبه، دملين مليانين ذكريات صعبه وأحلام مستحيله، دملين على وشك الإنفجار من شدّه الكبت واليأس، مديت إيدي أسلم عليه، كانت ايده مثل غصن زيتون يابس. تقريباً عديت عظام الكف بالوحده وتذكرت درس التشريح.

_ أهلين.

ردّ بصوت ضعيف ورجع نكّس راسه.

كانت الحجه صارت جنبي، سألت إيه شو عنده

ردت الحجه:

_ والله ما في إشي بس من اسبوع فقد شهيته، والدخان اللّي روحه معلقه فيه تركه، وصار يحكي شروي غروي، كلام ملخبط مش عارف أوله من آخر.

تركتها تحكي ووضعت السماعه على صدره، وقست ضغطه، كان ضغطه مش بطال لواحد بمثل عمره.

_قديش عمر الحج.

رفع راسه وقال تولدت قبل الهجره، لما صارت النكبه كنت شب عمري 18 سنه.

حسبت براسي..

_ الله يطوّل عمرك يا حج.

ردّ؛

_طويل ولاّ قصير، كله زي بعضه.

طبعا الحجه اللّي كان باين أنها مرته، رغم فارق السن بينهم، تبيّن انها مرته الثانيه، وبينه وبينها تقريبا 25 سنه.

_من فتره وهو بينسى كتير، بيكون حاطط الشغله بإيده بيرجع يسأل وين راحت، ومرات كتير بتّهمنا إنّا سرقنا

مصاريه، وأكثر من مرّه راح على جامع المخيم وما عرف يرجع.

كانت تحكي وأنا أهز براسي. بس أنا بلّش يتغيّر فيه أشي في داخلي، وزاد تعاطفي مع الناس ومع المكان.

_ شو اسمك يا حاج.

رفع راسه، عيونه ما زلت بلون الدمامل لناضجه.

_ رأفت صالح خيري أبو لّيف، أبو كريم.

شو عندك أولاد يا حج؟

سألته،

استعمل اصابع يديه للعد.

_كريم راح مع الفدائيه واستشهد في الـ 70، رائد تجوز بنت خاله وعايش في السعوديه، ناصر صار عمره 42 سنه مش راضي يتجور، جهاد بشتغل في السلطه.

رفع راسه ورجعو الدمامل بس هالمره زاد توقدهم،

_بدك البنات كمان؟

ردّيت،

_نعم البنات كمان.

_فاطمه متجوزه كامل أبو الهيجا وعندها 6 اولاد، فتحيه جوزها طلقها وتجوز وحده ثانية وعايشه مع اولادها في مخيم الفارعة، نوره بتدرس في الجامعه ، قلتلها يابا شو بدّك في

الدراسه، باست أيدي ولحيتي وترجتني انها تدرس، قلتلها لو ببيع كرت المؤن علشان أدرسك، إلاّ تدرسي.

_ وين ساكن يا حج؟

_وين بدك قبل الهجره ولا اليوم.

_قبل الهجرة واليوم.

_اليوم زي ما إنتَ شايف ساكنين في مخيم بلاطه، صرلنا سنين ما بعرفهم غير الله؛ واحنا ساكنين هون بنستى الفرج من عند أبو الفرج، بس شكله على الفاضي.

_ليش على الفاضي..

أشّر بإيده بدّه سيجاره، وأنا بكره السجاير وريحتها بس ما اعترضت، ناوله ابنه سيجارة لف ولعها، كان بلّش يرفع راسه واقدر أنا اشوف ملامحه وتعابير وجه.

_على الفاضي.. بلا زغره مين حضرتك، مبين عليك إين عالم ونلس.

ردّ إبنه

_هاد الدكتور آجا يفحصك إذا فيك شي.

_أهلاً وسهلاً، أهلاً وسهلاً فيك يا دكتور.

_أهلاً بيك يا حاج.

سحب السيجاره بشراهه، كانت الحجه جابت شاي كنت ما بدّي اشرب بس في إيد غير إيدي أخذت الكاسه وشربت.

_ على الفاضي يا دكتور، قدّيش أبو عمّار قعد في بيروت وحارب وصالح، ونضرب وتبهدل هو وجماعته، وبعديها طردوه من بيروت على آخر ما عمّر الله على تونس، لمّا شاف ما في أمل تصالح مع اليهود وعترف في اسرائيل وآجا على رام الله، طيّب اللّي زيي آنا شو صار فيهم، أكثر من ستين سنه بعيد عن داري وأرضي وأرض أبوي وجدادي، شو كمان مطلوب مني، هذا لولد وأشار إلى ابنه ناصر، شو ذنبه يظل بدون جيزه لليوم، مش عاجبه المخيم، وآنا مش عاجبني لمخيم، بس شو نعمل، أمريكا روسيا والسعوديه مش قادرين يعملوا إشي احنا بدنا نقدر، حاول ابنه يدّخل عملت بإيده اشاره إله حتى يترك الحاج يحكي اللّي بدّه اياه، وطلبت منهم يجيبو إشي للأكل.

أبوي الله يرحمه إله دار بمشي فيها الخيّال، وإله أراضي على مدّ البصر، بين يوم وليله صرنا عايشين في خيمه، قالو لنا كله اسبوع، عشر أيام، شهر، سنه، سنيتن وبترجعو على دوركم، هيّنا رح نكّمل الـ 70 سنه وما في حاجه تغيرت، ولا رح تتغير، فكرك مبسوطين في لمخيم، اللّي بقولك مبسوط قلّه كذّاب البعيد، بس لمخيم بيظل شوكه في حلق اليهود، شوكه في حلق البعيد والقريب.

أنا أبني قلي يابا تعال عيش معي في لسعويديه، قلتله والله لو بسكن مع الملك فهد في قصره ما باجي، قلي يابا هاي مصاري اشتري ارض في أي مكان وابني فيه، كلها أرض فلسطين، قلت له من المخيم ما بطلع إلا على دارنا هناك، وأشار باتجاه الشرق، أو على لمقبره وأشار باتجاه الغرب.

طبعا لحج بطّل حاسس في الموجودين كان بدّه يحكي وتركناه يحكي حتى يخرج من حالته.

مرته جابت صحن فواكه، أخذت تفاحه قطعتها أرباع واعطيته، مرته قالتلي ما بقدر يوكل تفاح من زمان رفض طقم الأسنان وما بوكل الأشياء لصلبه، أخذت خصلة عنب وحطيتها في إيده، صار يحكي ويوكل.

أبو عمّار باعنا يا دكتور، أبنه للّي في صوره بتجمعه مع أبو عمار معلقه في لولجهة لمقابله حاول يعترض.

_شو اللّي بتحكيه يابا..

هدّيته وقلت له خليه يفضفض، اسمع وطنش.

_كيف يعني يا حج..

_كان ظل في بيروت، يحارب اسرائيل، وما أجا هون ونسي اللاجئين.

_انتَ قلت هلأ أنهم طردوه من لبنان، شو يعمل الزلمه، الله يعينه، ما خلّي باب وما دق عليه، وبالأخير قالوا له "اذهب انت وربك فقاتلا"

ضحكنا كلنا وكانت أول ضحكة للحج بيّن ثمّه ما فيه ولا سن وعيونه تغير لونها ..

هاي مش مشكلتنا، احنا مشكلتنا الأساسية مشكلة لاجئين، إذا للاّجئين برجعو على بيوتهم وأراضيهم، كل لمواضيع الثانيه بتصير سهله.

ادّخل ابنه ناصر

_كيف بدهم يرجعوا اللاجئين يابا.

_يحملوا حالهم ويرجعوا.

_اسرائيل مانعتهم.

_اسرائيل بدها تظل طول لعمر!!.. أخرتهم برجعو.

صمت لحج فجأه ورجع يحيكي..

_بس بكون أنا صرت عند ربنا، نفسي يابا قبل ما أموت أني أرجع على دارنا، أوكل من لتينه، اشرب من البير، أوكل من خبز الطابون، لمّا هاجرنا كنت واعي، كان عمري18 سنه

وكنت على وجه جيزه، أبوي وعمّي كانوا فرحانين فينا أنا وخيريّه، بس صارت الهجره وما عملولنا عرس، تجوّزنا في المخيم، لا عرس ولا سخام بين، نفسي أرجع على دارنا، وأنام على ظهر الحيط بالصيف، أشوف النجوم اللّي في لسما، وأعدهم، وبعدها أموت أروح على جهنم أو على الجنه بطلت فارقه معي، بس إنّي أموت وما أرجع على دارنا هذا الإشي مش قادر أتخيله، طول هالسنين واحنا بنستنى، رئيس امريكي رايح وريئس جاي، قلبنا ميت رئيس وميت ملك، أنه يطلع واحد بني آدم يحس بالشعب الغلبان مش ممكن. مبادرات ومؤتمرات وروحات وجيات وكله على الفاضي.

أنا بعرف إنّه عرفات ما طلع بإيده إشي ما علمه، وبعرف أنه ابو مازن بحاول بس هذول يهود، يهود؛ النبي عجزُوه، واحنا كمان ما قصرنا ببعض..

صمت لحج ومدّ إيده وأخذ خصله عنت ثانيه، وكان زي واحد مربط وانفك ربلطه.

طبعا لحجه ارتكت إلها روحها، وابنه كان صارت ملامحه أفضل وزل توتره وخجله.

وطبعا حكى أشياء كثيره، وتبادلنا الأراء في مواضيع كثيره، كان صار أذان المغرب واستغربت من سرعة عبور الساعات. كتب للحج بعض المقويات والمدعمات، ورفضت آخذ أية كشفيه.

الأهم من كل هذا هو أنا، أنا اللّي كانت أفكاري عن المخيم أنه ... أصبحت أكثر واحد ممكن يدافع عن المخيم ويعتبر الناس اللّي ساكنين فيه صابرين ومناضلين ووطنين حقيقين، وإذا في صمود حقيقي فهو صمود لمخيمات.

الأمر الثاني أنّه أنا لو كنت واحد أبوه اتهجر من أرضه وبيته وساقه حظه ليسكن مخيم بلاطه أو الفارعه أو عين بيت الماء أو عسكر أو الجلزون، أو أي مخيم من مخيمات الشتات، كنت رح أتعرض لنفس الظروف واعيش نفس التفاصيل.

طول الوقت وأنا في السياره للبيت كنت بفكر في اللّي سمعته وشفته، المخيم رمز النكبه وهو الشاهد الوحيد على النكبه وعلى الظلم الواقع على الفلسطينين، لكن العالم وأنا والكثير منا ساكتين ومرّات بنحكي كلام بدون طعم.

(37)

الدكتوره مها

أنا الدكتوره مها؛ مش حلوه ولا حصير حلوه لو استعملت كل كريمات الأسلس العالميه والمحلّية، ولو اشتريت كل أنواع المكياج.

في عرس ناهد بنت عمّي رحت على الصالون، وقعدت قدّام المرايه بيجي ساعه، والكوافيره ما خلّت إشي ما عملته؛ فاونديشن للوجه كله، شادو للجفون، كونسيلر للهالات أسف لعيون، آي لاينر ورموش اصطناعيه للعيون، وروج للشفايف والخدود، وطبعة تسريحة تتناسب مع شكل راسي العجيب الغريب، لمّا خلّصت البنت وشفت حالي في المرايه، كان شكلي زي مهرج السرك، أبوي واخوتي لمّا شافوني ما عرفوني.

ياخساره ثاني يوم الصبح راح كل إشي لمّا صحيت من النوم وشفت حالي زي الزومبي، رحت وغسلت ورجعت حليمه لعادتها القديمه. وأنا بصراحه ما عندي طولة بال ولا

صبر على لمرايه والمكياج، ولا مستعده اقعد ساعة أقل أو أكثر علشان تمكيجني وحده علشان يُعجب فيّه واحد هامل بعاني من البطاله في عقله وجسمه. أو علشان يعلق واحد مش معروف مين هو ويقول شو هالمزه، أو شو هالحلاوه الخ.. أنا بحسد الشباب، على أساس إنّه الزلمه ما بعيبه اللّي جيبته.

بس البنات في أشياء كثيره ممكن تعيبهم، أولهم وأهملهم وأشهرهم وأكثرهم ظهوراً ووضوحا موضوع لجمال، بفكر مرّات في تعريف لجمال، شو يعني إنها الوحده تكون حلوه، طبعاً مش جاي على بالي أحكي فلسفه، بس لموضوع فيه وجهات نظر، طيب إذا كان ربنا بعرف أنه لذكور بدوروا على جمال الإناث، وأنه الإناث بدوروا على جيوب لذكور، ليش ما عمل كل البنات حلوات وربنا قادر ما يخلي ولا وحده تشبه الثانيه ويكونوا كلهم حلوات، وكمان عمل كل الرجال جيوبهم عمرانه وأغنياء.

مش عارف هاي الافكار الغريبه دايما بتمرق على راسي بس ما بطلع بنتيجه، وكمان هاي الإقتراحات اللّي بتيجي في بالي لو ربنا سمعها وعمل فيها كانت لدنيا حتصير

إمّا إنّي أصير ضحيّه، تتهم أبوها وامها وربنا إنهم السبب في إنها مش حلوه، وهيك كنت رح أقع فريسه لليأس والحزن والغيره والحسد، وإنّي من دون خواتي لجينات المتحيه في العيله كلها تجمّعت فيّه أنا.

من أمي جحوظ عيونها، وسمرة بشرها، وشعرها الخفيف، من أبوي أنفه العجيب وشكل راسه السريالي.

وزاد الطين بلّه لمّا اوعيت وسألت أمي عن البقع اللّي في جسمي، قالت أنها وحمه، شو يعني وحمه يمّا؟

_الوحمه لمّا الوحده تكون حامل في الأشهر الأولى، ويجي في بالها إشي أو تشتهي إشي وما تقدر تحصل عليه، إذا حكّت جسمها، بطلع مكانه وحمه.

سألتها أكثر من مرّه شو كان جاي في نفسك لمّا كانت حامل فيّه، كانت في كل مرّه تضيّع الموضوع.

الإحتمال الثاني إنّي أركز في الدراسه وأتفوق على الجميع.

اخترت الخيار الثاني.

كل طاقة الغضب والحقد والغيره والحسد والإحساس بالظلم، وسخرية خواتي، ونظراتهم، وكرهي لشكلي وللعالم، كلّها كرّستها وصبيتها في لدراسه، وفي التوجيهي جبت الرابعة

على فلسطين والأولى على محافظة الخليل، أبوي حملني على كتافه كيف كان يعمل وأنا صغيره، ورقص فيّه، ولا يوم من أيام حياتي شفته سعيد ومبسوط زي ما كان في يوم نتائج التوجيهي.

درست طب في النجاح، وبطّلت فارقه معي حكاية إنّي حلوه أو مش حلوه، وصار جمالي اللّي بستحق العنايه هو محاضراتي ودراستي وكتب لبثالوجي، ونيرولوجي، ولسيرجري وهاي الأشياء، وصارت نظرات الإعجاب من الدكاتره والطلاب والأهل هي مصدر متعتي وجرأتي واعتدادي بنفسي ومش جمالي.

(38)

قبلت؛ بس عمري ما كنت راضيه

لمّا أبو العبد أعطاكم عمره، كان صار لمّرته سنتين لسانها ما خاطب لسانه، كانت أمّي تقولها حرام هالحكي؛ وكانت ترد؛

_ الله يحرّم جلده عليه. تجوزته غصب عنّي.

وطبعا القصة نفسها تعيدها ..

_انتِ بتعرفي مين كان خاطبني، علي .. بس علي لمّا صارت حرب الـ67 طلع مع اللّي طلعوا يدافعوا عن فلسطين، كنّا ناوين نجوّز على الصيف، وصارت الحرب وعلي ما رجع.

سنه بعد الحرب وأنا بستنا، أبوي وأمي ظلوا ناقر ونقير، وما إلهم سيره غير علي ومنى؛ منى علي. وفي يوم أبوي قال إنّه عمّي نعمان طلبني منه لإبنه غالب، رحت أنجن يومها، شو جاب غالب الأهبل إلي، وشو جاب غالب لـ علي، وكمان هو أكبر مني بـ 7 سنين، أنا المخطوبه لـ علي إبن العيله والحسب، شب ما في بنت في البلد ما تتمنته، متعلم واستاذ

مدرسه وأمه بنت عالم ونلس وأبوه زلمه محترم وإله كلمته في البلد، وإيده طليله؛ أراضي ودور، وأنا طول وجسم وجمال، وفهم، وشليفه حالي؛ وبعد ما خطبني علي، بَطّل حدا في نظري؛ وكبرت نفسي ويا أرض أنهدي ما عليك قدّي، آخرتها يكون نصيبي من إبن عمّي غالب، بديش أحكي كلّنا خلقة الله بس لا شكل ولا منظر، ومش متعلم، وأمه مزعبره، وأبوه عقله خزق؛ لسّا أصعب من عقل ابوي. طبعاً رفضت، مرّ شهرين وبهاي الفتره توفى سيدي أبو الصادق، وشوي الموضوع تنسى أو هيك حسيته، بس كان الموضوع تأجل وما تنسى، لأنه أبوي بعدها رجع يحكي في الموضوع، ويعمل مشاكل لأمي في الدار، وما فيه على ثمه غير منى لـ غالب، وغالب لـ منى، أنا أعطيت أخوي كلمه وما بتراجع عنها، أنا ما بخسر أخوي علشان بنت، لو بتموت، لو بتظل عانس ما بغيّر كلمتي ولا بتراجع.

وفي مرّه كان يوم جمعه؛ رجع من صلاة الظهر وكان راسه حامي، ومتحمس كتير، وحكى عن جيزتي؛ أمي كانت تطبخ، وأنا كنت أجلي، تركت الجلي وحردت وما رضيت أتغدى معهم، بس بعد العصر أجا عمّي وابنه غالب، أنا رفضت أقدم الشاي، ولمّا طلعو؛ أبوي عصّب وحلف طلاق

على أمي ما بتظل على ذمته إذا ما بتجوّز غالب، وأنا علشان أمي تظل على ذمته وما يتشردوا اخوتي مثل ما حصل مع خالي ابو حسين ومرته، قبلت بس مش راضيه.

في ناس كثير في الدنيا عاشوا حياتهم وهمّا مش راضين عن أحوالهم؛ وأنا وحده منهم.

(39)

عمّي نوري

وعيت على الدنيّا وعمّي نوري عايش في بغداد، كل سنه في الصيف كان يرجع على نابلس، وعلى رأي أمّي؛ كل سنه بيجي وما بسافر إلاّ ومرته حامل، هو يسافر من هون وبطنها يبلش ينفخ من هون، وما تيجي السنه اللّي وراها إلاّ ويكون على ايدها ولد بترضعه.

هي تجيب أولاد ذكور، وأمي تجيب بس بنات. وطبعا سلفات البلب على البلب، وخذ مقاهره وكلام كله معاني، وصارت أمّي أم البنات وصارت مرت عمّي نوري أم الأولاد.

لمّا عمّ نوري صار 60 رجع وما وعاد سافر على بغداد، صحيح كان معه مصاري وأبوي طفران، صحيح بنى عماره بتهز العقل ولبوي ما بنى إشي وظلينا عايشين في لبيت القديم للي ورثه من سيدي.

لمّا رجع عمّي النوري ما لقي ولا واحد من أولاده السبعه الذكور جنبه، كانوا كلهم متزوجين، وكلهم بدون استثناء

عندهم مشاكل في حياتهم، لأنهم ببساطه ما عرفوا أب يربي، وبس عرفوا أب يسافر يغيب سنه يجيب مصاري، وكمان ما كانت في ذكريات تربطهم فيه من أيام الطفوله، وكان وجوده في حياتهم مربوط بالمصاري والمتاع.

بعد سنه من رجعته الأخيره بالتمام والكمال، زحلق عن الدرج وكُسر حوضه، وعاش بعدها سنه نص وهو بالفرشه وحالته بالويل ولأنه أولاده ما في بينهم وبينه ذكريات طفوله أو علاقات قويه، ولمّا مات اللّي بكوا عليه بنعدوا على الأصابع، كان أبوي واحد منهم.

أمّا أم الأولاد مرت عمّي فكانوا نسوان اولادها ما يحبوها ولا يحبوا ذكرها، وبعد ما مات عمّي نوري عاشت بعده عشر سنين كانوا سنوات صعبه وقاسيه عليها، تغيرت كثير وتبهدلت كثير، وكانوا اولادها قاسين عليها ومهملينها.

أمّا أم البنات، كانوا بناتها 8 لّا وحده منهم، وصار عندها 8 رجال همّا أزواج بناتها للّي فؤاد زوجي واحد منهم.

(42)

براقب أمي

من لمّا كنت صغيره؛ وأنا براقب أمّي، وكنت بستغرب كيف عارفه تتعامل مع أبوي، وشو سرّ قوّتها وقدرتها العجيبه على التحكم في أبوي.

أبوي ما كان زلمه ضعيف الشخصيه، بالعكس كان عصبي كثير، قوي، ولمّا بزعل أو بكون غضبان كان كل وجهه يصير عيون منفوخه كأنهم جمرتين نار. بس مع أمي وفي أغلب الحالات كان قط أليف، أرنب بلدي مش بري، بقول لحالي اليوم، يمكن لأنها كانت حلوه وغنوجه، وعارفه كيف تتعامل معه، أو عارفه نقاط ضعفه.

بس كمان مش كل النسوان مثل أمي، ولا كل الرجال مثل أبوي، لأني كنت أشوف نسوان عمامي واخوالي، وكان ما في قاعدة رياضيه مثلاً يمكن الوحده تطبقها وتحصل على نفس النتائج.

من وقتها عرفت أنه مثل ما KFC وكوكاكولا ونوتيلا عندهم خلطه سرّيه، فيه بين كل اثنين زواجهم ناجح وسعيد خلطه سرّيه خاصه فيهم صعب يحكو عنها أو يفشو سرّها لحدا. وكمان من الصعب تقليدها.

زادت قناعتي، لمّا كبرت وتجوزت عامر، صحيح تجوزنا عن معرفه وبتقدروا تقولوا عن حب، بس الموضوع ما زبط نهائي، أنا حاولت كل لطرق للّي سمعتوا عنها واللّي ما سمعتوا عنها، لمباشره وغير المباشره، جرّبت الدلع، الإغراء، والغنج، استخدمت لغة التهديد والعقاب، حاولت لغة العبيد والأسياد، بس ما كان ينفع اشي مع هالزلمه.

ولمّأ طلبت الطلاق؛ كنت استفذت كل إشي بيخطر ببالكم، وطلبت الطلاق بعد قناعة تامه، إنه وحده زيّي ما بتنفع لواحد زيّه، وواحد زيّه ما بينفع لوحده زيي.

بعدها هو تجوّز بس ما بعرف إذا سعيد أو لأ، وأنا بعد الطلاق، ما تزوجت، لأنه على رأي أبوي لعذارى هالأيام يا دوب حدا يطلبهم، فكيف المطلقات.

أنا مش زعلانه على طلاقي، بس نفسي حدا يخترع نظريه أو معادله، مثل نظرية فيثاغورس، مربع لضلعين يساوي لوتر، أو مثل قانون الجاذبيه، نفسي واحد يكتشف قانون أو معادله أو نظريه، ندخل فيها معطيات الشب ومعطيات البنت قبل الزواج، ويكون في جهاز مثل جهاز فحص الثلاسيميا، يعطي نتائج بشكل قطعي، يقول فيها كم نسبة نجاح هذا لزواج لو تم، وإذا كانت النسبه أقل من 60 يعتبر الزواج مقدماً راسب، مثل علامات مساقات الجامعه.

بس طبعاً هذا ليوم إذا بدّه ييجي وحدا يكتشف فيه هاي المعادله أو القانون، أنا مش رح أكون موجوده.

(43)

القصيرات هن الجميلات

"القصيرات هنّ الجميلات"

محمود درويش

كل سنه وأنت حبيبتي

لمّا وصلني بوكيه الورد ومعه هذا الإهداء، عرفت إنّه اللّي باعته عادل، بس كانت أجمل لحظه في حياتي كلها، لحظة ما كنت بتوقعها، كلمات كأنها نزلت من السما علشان تغيّر مودي وحالتي ومزاجي مرة وحده وإلى الأبد، خاصة إني من وأنا صغيره كنت متعقده من طولي.

كانت أمي عارفه، عارفه أني قصيره بين جميع الموجودين في الدار، كانت تعرف إنه الجين الخاص بستي فاطمه صابني أنا ومش حدا تاني، كانت ستي قصيره بس شاطره ومعنّله كيف بيحكو. كانت تخفف عنّي، ما خلّت طريقه ما حاولت فيها إنها تزيد من طولي، نط حبل، مرجحه

في لباب وغيره، بس كلّه طلع على لفاضي، أو ما كان كافي لقلب وتغير تأثير الجينات والوراثه.

بس عادل كان بالتواطىء مع محمود درويش السبب في تغير المعادله دون ما زاد طولي ولا مليمتر ولحد، وصرت أتقبّل طولي، بعد ما أقنعني بكلام درويش؛ على اعتبار أن القصيرات هنّ لجميلات.

من وقتها وأنا بفكر أنه مشاكل العالم كلها إلها حلول موجوده، ومرات على بعد كلمه، على بعد خطوه، خلف الباب، في الخزانه، فوق الرف.

المشكله في أنك تلاقي الدوا المناسب لكل مشكله، وفي الوقت لمناسب، وأنا مشكلتي حلّها محمود درويش الله يرحمه في كلمه، بس آمي لأنها ما بتعرف لا درويش ولا محمود قعدت 20 سنه تقنع فيّه وأجبرتني إنّي أعمل حركات علشان أطول، بس كلها كانت تزيد من احساسي بقصر طولي، وبس لمّا قابلت واحد زي عادل، وسمعت منه هذا الكلام اللّي قاله المرحوم درويش ما تغيّر طولي؛ لكن عقلي تغير.

(44)

الرسول محمد(ص) من مواليد نابلس

وأنا صغير، كنت بفكر إنه الدنيا، إلها نهايه وحدود، وهاي الحدود هي جبل عيبال وجبل جرزيم، وإنه الشمس في المسا تغرب وبتنام من ورا شجرات السرو، وفي اليوم الثاني بتطلع من ورا لسهول البعيده على مدّ البصر.

وكنت بعتقد إنّه الدنيا هي نابلس وبس، وكنت بفكر إنه الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، من مواليد نابلس، وكان عايش هون، هاجر على المدينه بس رجع مره تانيه على نابلس، طبعا كل ما كبرت كانت الدنيا تكبر أكثر.

ولمّا زرنا خالي في الخليل بعد ما تصالح هو وابوي وامي عرفت انها الدنيا أكبر من نابلس.

كله بتمدد، يعني مبارح ما كان زي اليوم، وبكره مش زي اليوم.

كنت بعتقد أني أهم حدا في الدنيا، وأنه لدنيا تابعه لمزاجي، لفرحي وزعلي.

وكل ما كبرت صرت أعرف إنه الأرض بكل ما فيها من خيرات وشرور دبابات وطائرات ومصاري، وبحور ونهار واسماك وخرفان، هاي الدنيا اللّي كلنا متقاتلين عليها تعتبر إشي تافه مقابل هذا الكون لشاسع، هذا الكون مترامي الأطراف اللّي عقل واحد مثلي أو مثل اينشتاين أو نيوتن مش رح يقدر يستوعب وسعه.

هاي الأفكار وغيرها لمّا بتيجي في بالي بقول لحالي على شو الناس مختلفه بينها وبين بعض، وتعودت كل ما تزاعلت مع حدا خصوصاً في لبيت أو في المدرسه، أتذكر هاي الأشياء وشعر قدّيش أنا إشيء صغير في هذا الكون، وقديش لحياة قصيره ومحدوه، بس كان هذا دايماً بنعكس على شخصيتي، إذا متزاعل مع حدا اصالحه، إذا حدا بذّه مني حق

أعطيه إياه. وهيك صرت ذره صغيره بستبح في كون أكبر من قدرة عقلي على الإستيعاب.

(45)

وداد لـ سالم، وسالم لـ وداد

كان صاروا أولاده وبناته في الجامعه، وفي يوم تخرّج بنته اللّي سمّاها على اسمي وداد، أنا خرّجتها وسلّمتها الشهاده، مرته بتعرف بالضبط مين أنا وشو كنت بالنسبه إله، بس هو مثل كل زلام الأرض والمريخ، عمل حاله مش هون، لكن لغة جسمه وحركات يديه وتوتره كانوا بيحكوا إشي ثاني.

كنّا اولاد عمّ، وكنا تقريباً لبعض، البعيد قبل القريب عارف أنّه سالم لـ وداد، ووداد لـ سالم.

كان ممكن نكون متجوزين وأكون أم أولاده.

كان ممكن أكون المره القاعده جنبه، مرت سالم، أو أم عماد أو أم عبد الرحمن أو أم بطيخ...

كان ممكن يكون معي على منصة التخريج دكتور في الهندسه أو العلوم أو الفنون .

كان ممكن يكون ملايين الإحتمالات الأخرى اللّي بتخطر على البال وما بتخطر على بال الشياطين.

بس الإحتمال الوحيد اللّي صار إنه هو وأخوي صاحبه الروح بالروح اختلفوا، مَدّوا ايديهم على بعض سبّوا على لبوة بعض، ولقيها أبوي فرصه أنه يتحلل من الوعد القديم، وداد لـ سالم، وسالم لـ وداد.

طلعت كملت دراسه في الأردنيه، ولمّا تخرجت كان أبوي صار تحت الترلب، وسالم متجوّز وحده من قرى أم لفحم، والمصاري للّي طلعولي من ورثة المرحوم ، طلعت وكملت فيهم دراسه في بريطانيا.

أنا اليوم عميدة التمريض وعلوم الصحة، وهو سالم أبو عماد، عنده 3 أولاد و 3 بنات، بيشغل شوفير على خط نابلس رام الله.

ومن يوم ما صارت الطوشه بينه وبين أخوي وراح كل شيء بينا ما شفته إلا يوم تخرج بنته من الكلية، تقابلنا في الساحه ما حكينا مع بعض بس

_مبروك..

_الله يبارك فيكي.

أنا بعرف مين هو اليوم ومين أنا.

أنا الدكتوره وداد، عميدة كلية التمريض وعلوم الصحة، وهو سائق فورد على خطة نابلس رام الله. هو متزوج وأنا وما زلت عذراء.

أنا اليوم حرّه نفسي، ما وراي مسؤوليات غير مسؤوليات العمل، عندي بيت مستقل مناسب لإحتياجاتي.

وهو أب لخمسة أولاد، بيهدوا لظهر والحيل.

صحيح ما عرفت لزلام ولا عرفت ريحتهم، صحيح ما حملت ولا ولدت زي كل النسوان ما بتعمل، صحيح ما رضّعت ولا ربيت وكّبرت، بس كمان عرفت أشياء كثيره، وزرت أماكن كثيره عمره أبوي ما سمع عنها، أو حلم يشوفها،

وكمان أشياء ملايين النسوان في العالم وعالمنا العربي ما عرفوها ولا رح يعرفوها.

مرّات بشوف في عيون الناس شفقة إتجاهي، في الواقع أنا شافيهم همّا اللّي بستحقو الشفقه.

(46)

أصحاب الكروش

أنا بعدني ما تجوزت، مرّات لمّا بشوف عمامي واخوالي مع نسوانهم، بتسائل عن أحوالهم وكيف راضيات فيهم، كل واحد فيهم ناتع كرش كأنه حامل في الشهر السابع أو على وشك ولاده، ونسوانهم بدون كروش، وإذا بتكون لوحده حامل في شهرها، بكون جسمها متناسق والحمل حلو عليها مش مثل براميل الزفته جيزانهم.

بس كنت دائماً بتساءل، علشان يكون الزلمه صاحب كرش لازم تكون نفسه مفتوحه، وسنه ماضي[21]، كيف بتحكي ستي، وهذا مش غلط ولاعيب، بس علشان تكون نفسه مفتوحه لازمه يوكل أكل زاكي، والأكل الزاكي لازم ست تطبخه، والست هاي لازم تكون مرته، السؤال هو الست هاي، ما إلها

[21] سنّه ماضي أي أكول، يحب الطعام كثيراً.

نفس توكل، بس اللّي بيصير أنّه هي بتطبخ وتتعب، وهو بياكل وبينام، وبيكبر كرشه، وهي مطلوب منها تحافظ على كسمها، وصدرها وخصرها، واجريها وايديها، مطلوب منها تتوزن الصبح والعصر وقبل النوم وبعد الصلاة ويوم العيد، ويوم عرفه، قبل وبعد ما تصحى وتفوت على الحمام، علشان تبقى معيبه عين صاحب الكرش مثل المره الحامل في الشهر السابع او في شهرها، كل هذا علشان تربينا أنّه الزلمه مافي شيء بيعيبه إلاّ جيبته.

حتّى لمّا جيبته بتكون فاضيه، مطلوب من مرته تصبر على جوزها وأكيد في هاي الحاله مش رح يكون إله كرش لأنه ببساطه ما معه مصاري يجيب أشياء للبيت علشان مرته تطبخ أكل زاكي.

(47)

سيدي حب بنات الجامعه

لمّا تخرّجت من الجامعة ومن كُثر ما ألحيت على سيدي أبو نَعمان يحضر تخرجي وافق، كان لوحيد اللّي لابس ديمايه وحطه وعقال من جميع اللّي شفتهم وحضروا.

سدي أبو نعمان مش معروف عمره، بس أكيد وصل 80، إذا حدا بيشوفه ما بيصدّق إنه 80، عوده صلب ولليوم بمشي بدون عصايه، ترك التدخين مثل ما بحكي من 30 سنه، تجوّز 3 مرات، وعنده 52 نفر؛ بين ولد وبنت وحفيد، والغريب في الأمر، إنه حافظ أسماء الجميع، ولا واحد فيهم بعتقد أنه سيده بحب حدا أكثر منه.

أنا إبن بنته هدى، وهدى لبنت رقم 7 من مرته الثانيه، اللّي مرضت من 20 سنه وتزوج عليها مرته لثالثه الموجوده

معه في حفلة لتخرج، وبينه وبينها يمكن 40 سنه، بس الغريب انها مبسوطه معه، وبتحبه أكثر من عنيها.

بفكر مرات واحد مثلي كيف ممكن يكون عنده لكريزما اللي عند سيدي أبو نعمان، وبفكر من وين بدّي أجيب لصبر وطولة البال علشان أعيش قد ما عاش واحفظ أسماء اولادي وأولاد أولاي ومن هذا الحكي، على كل حال سيدي كان أول مرّه بفوت الجامعه، تخرج من العيله عشرات بس ما كان يرضى يجي على لجامعه لأنهم ما كانوا يلحّوا عليهم ولأني أنا حلفت إذا ما بتيجي يا سيدي على تخرجي أنا ما بروح لتخرج.

وهو كان بدّه هيك فرصه، بس ما أجت لعنده، وهو ما طلبها.

اتفقت أنا وعماد ابن عمي فهمي أنه يجيب سيدي بكّير يوم التخرج علشان أنا بكون مشغول وكمان بدّي أتصور أنا

وياه في الكليه مع العميد والدكاتره وأصدقائي وزملاء وزميلات الدراسه.

وفعلاً وصل بكير وقعد يرتاح عند الحارس على البوابه، سمعه كان شوي ضعيف بس بصره مثل الصقر وقعد يشوف الطلاب اللّي فايتين واللّي طالعين ويخزّن صور، رن عليّ عماد، جيت على البوابه ولمّا شافني حضني وتباوسنا وحطيت إيدي في إيده ومشينا في الساحة، لمّا وصلت الكليه كانت الدفعه متجمعه في ساحة الشطرنج، عرّفتهم عليه، وكلهم بدون استثناء أجو تصوروا معنا وكان سيدي أبو نعمان في الديمايه والحطه هو مركز الصوره وأكثر واحد مثير للإنتباه بين الموجودين، والجميع بعد هيك طلب الصوره.

جلسنا أنا وياه والشله المقربه تقريبا نص ساعه، حكينا فيها وضحكنا بس كان سيدي خفيف دم ولجميع حبه، سألني إذا بتحب حدا من هالبنات أنا في الأول أنكرت، وقلتله الله يستر على الجميع، قلي والله انك مجنون، هذول لو على زماني كنت انجوت اربعه منهم في يوم واحد، شو هالحلاوه،

وصار يوصف في البنات ويتغزل فيهم، طبعا ما استحى من حدا وهو يتغزل فيهم وهمّا كانوا مبسوطات.

حضرنا الحفله، وكأنه سيدي ومش أنا اللّي تخرّج، لأنه كان محط أنظار الجميع، وكمان لمّا خلّصنا لحفله والشله تاعتنا لابسه روب التخرج ومعها الكرتونه، تصورنا مره ثانيه وتصور معنا، وكان في وحده مِلتْ على سيدي وقلتُه عنها، عرفها وغمزها، مدّ إيده على شواربه وقال جيزتك عليّ، والله حلوه بتقول للقمر قوم تقعد مطرحك، بس لازم تكون محترمه وبنت عالم وناس.

بعد أقل من سنه حكت معي ميساء أنه في واحد خطبها، كنت أنا لسّا متوظف جديد في رام الله، طبعاً ما في غير سيدي احكيله، أبوي تقريباً مش هون يا مسافر يا في الورشه، سيدي هلل ورحب، ودق على صدره وقال:

_أنا عند وعدي.

يوم لجمعه بعد الصلاة طلب أبوي، وصار بينهم حكي.

أبوي ما عجبه الموضوع، ورفض وطلع صوت سيدي عليه، وهو لمّا رجع على لدار سب عليّ وعلى الجامعه وعلى بنات الجامعه، وعلى اليوم اللّي درّسني فيه.

بس كمان كان زعلان أنّه أبوه اللّي هو سيدي رفع صوته عليه والأهم إنّه رفض طلب سيدي علشان يروحو يخطبوا البنت.

سيدي ما ترك الموضوع رجع حكى مع أبوي وأبوي زاد رفضه لأنه ببساطه كان حاطط عينه على بنت واحد من معارفه، إله معه مصلحه.

ميساء خلب ظنها، نخطبت وتجوزت.

سيدي أعطاكم عمره وهو زعلان من أبوي.

أبوي بعده مصر اني أجوز بنت صاحبه.

وأنا لليوم ولبكره ولبعد ميت سنه مش رح أجوّز لا ميساء ولا غيرها.

(48)

وزيرة الشؤون الإجتماعيه

طَرق الباب..

_تفضل.

_صباح الخير دكتوره سميره.

_ صباح الخير ساهر.

_ تفضلي القهوة.

_شكراً.

_شو عندنا اليوم؟

_اليوم حاقل دكتوره، اليوم في اجتماع لمجلس الوزراء، عنا اجتماع مع هيئة الرقابع والتفتيش الساعة 12، وفي افتتاح مول العوده الساعة 7 مساءاً، وكمان شوية أوراق للإطلاع والتوقيع.

OK-

بس في واحد بزّه بقول أنّه معرفه قديمه وعايز يشوفك في موضوع شخصي.

_ شو اسمه

_ ما حكى حلبب يعملها مفاجأه.

_ خليه يتفضل.

_صباح الخير دكتوره سميره.

تسمرت في مكاني، وفعلا كانت مفاجأة، وفي أقل من رمشة عين ولتفانتها، تذكرت المكان والمنصب وتراجعت عن كل الخطط، تراجعت عن لصراخ، والعتاب، والرفض والقدح والسب والذم ولبست قناع الصرامه والرسميه وقلت له.

_شو جابك هون.

_شو أخبارك.

_إيش بدّك

_اشتقنالك

_أحكي أنا مش فاضيه، وراي شغل ، شو المطلوب.

_ما شاء الله صرتي وزيره، مشهوره ومهمة. تستاهلي كل خير.

أنا ما كنت قادره ولا بدّي أرد عليه.

وصمتت

كان أكبر من عمره، شعره شايب، وكان واضح عليه الهَمّ والتعب، بس حضوره وجرأته مثل زمان، سطوته وحركات يديه وعيونه مثل ما هي من أكثر من 30 سنه.

_ما تغيرتي، مثل ما إنتِ، كأنك مبارح تخرجتي من الجامعه.

صمت؛

واحد وحيد من هذا العالم يمكن يحكي هذا الكلام معي وفي وجهي وما أردّ عليه، وحده بس ممكن يغازلني غزل صريح من دون خوف ولا تردد. وأظنّ أنا ساكته وما ألاقي حكي أرد فيه، كأنه كلامه عباره عن مسكن للحركه أو مخدر للأعصاب، وهذا الإشي اكتشفته اليوم، برغم مرور أكثر من 30 سنه على علاقة الحب اللّي كانت بينا. بالضبط مثل ما كان يحكي زمان، ومثل ما كانت ردود أفعالي أنا كمان زمان، كأنها السنوات اللّي مرّت ما غيرت إشي فيه، كأنها الدكتوراه والوزاره والروحة والسفر والعالم كله ما عرف يغيرني.

حكى أشياء كثيره سمعتها وما سمعتها.

كنا مخطوبين في أواخر ثمانينيّات القرن الماضي، كان هو طالب هندسه سنه ثالثه، وأنا طالبة تربيه سنة ثانيه. لكن قبل الخطوبه صار بينا قصة حب مثل كل البنات والأولاد في الجامعه، زي ألوف الطلاب اللّي درسوا في الجامعة وفي جامعات الدنيا كلها، حب ، أحلام، شوق، غرام، أشتياق، لهفه، غضب، زعل، مصالحه، لمس أيادي، حكي كثير عن بكره، عن البيت والعفش، وغرفة النوم والأولاد، واسماؤهم، عن أهلنا، عن أكلنا، عن أخوتنا وخواتنا، عن كل شيء ممكن يخطر ببال أي كائن بشري عايش في ظروفنا، وملتزم بقاليدنا وعاداتنا، ومرت السنوات بذكر منها الفرح والغبطه، والشوق العتاب، والهدايا الرمزيه، بس كمان اللّي صار بعدها، مسح الطعم الحلو تحت لساني وطلع مكانه طعم حامض مر، مثل العلقم، حسره وندم على اللّحظات الكثيره اللّي مرت وعشتها وقدمتها من قلبي وروحي لواحد ما بستاهل لا هو ولا أهله.

كانوا أهلنا مبسوطين كتير فينا، كنا أصلاً أول حدا بتعلم بالعيلتين، وكانوا مثلنا يحلموا وفي قلوبهم أمل كبيره، واحلام بوسع المسافه بين عيبال وجرزيم. بس كالعاده في بلادنا وفي عاداتنا وتقاليدنا لباليه، عمره الزين ما بيكمل كيف بحكوها، وكأنه انكتب علينا ما يكمل عنا فرح لا يتم سرور.

فجأه طلعت سمعه في البلد أنه عمّي يوسف عميل، طبعاً كان الوضع السياسي والأمني كتير سيئ، انتفاضة لحجاره كانت في أوجها، مظاهرات وضرب حجار، وجنود بركضوا ورا اولاد صغار، وقنابل مسيله للدموع، واعتقالات ومصادرة أراضي، ومنع تجول، وتسكير جامعات، وحرق محلات، وتكسير عظام، يعني وضع أمني زي الزفت، بس الناس كانت مبسوطه لإنه صار في أمل عندها أنها تحرك لسم اللّي عايشه فيه، أنه العالم ينتبه للناس في فلسطين، ويعاملوهم كبشر يستحقوا لحياة والعيش مثل باقي الخلق، بس كمان الإنتفاضة الأولى كان إلها مشاكلها، كان التخوين وإطلاق التهم بالعماله من أكثر الأشياء استعمالاً، إنت مش بحاجه لجهد كبير علشان تشوه سمعة واحد وتقضي عليه غير

إنك تتهمه بالعماله مع إسرائيل، وهيك بتكون قضيت عليه وعلى عيلته إلى أبد الآبدين، وهذا اللّي صار مع عمّي يوسف، كان إنسان وطني وطيب ومرات بتحس طيبته على هبل، بس للأسف أخوة طليقته عرفو كيف يصيدوه، كان يحب يساعد الناس خصوصا في منع التجول، بس هو كان كمان يحب المغامره، وكانت سعادته في هيك شغلات، كان يغامر في منع التجول ويطلع يساعد اللّي المحتاجين، علبة حليب لأولاد جاره، ربطة خبز لجارته، بكيت دخان لأبن عمته ومن هذا الحكي، وهيك عرف اخوة مرته السابقه كيف يبثوا إشاعة قضت عليه لمّا اتهموه إنه بتعامل مع العدو، وإنّه هو ما بهمّه منع التجول لأنه ببساطه معه إذن من أسايده جنرالات جيش الإحتلال، لكن هو أبداً مش هيك.

الكلام في البدايه كان عادي، والجميع عارف يوسف، بس بعدين صار جدّي وصار يوسف يسمع المسبه في ذاته، والتهمه صارت لاصقه فيه، وهون بلّشت العيله كلها تدفع الثمن، وكنت أنا تقريبا أول ضحيّه، جلال خطيبي وحبيبي اللّي جالس قدامي الآن بعد أكثر من 30 سنه، كان يدافع عن

عمّي يوسف لأنه كان يدافع عن حبنا وعلاقتنا، بس للأسف أهله كانوا أقوى منه ومن دفاعه، أجبروه على فسخ الخطوبه، بعد هيك هو سافر على الخليج، وتركني هناك وحيده مكسورة الخاطر والقلب، عمّي يوسف كمان ترك فلسطين واللّي فيها وهاجر على السويد.

جلال كان شخص استثنائي، فترة السنتين اللّي قضيناها في الجامعه لخّصت فرح الحياه وسرورها، أنا في البدايه كنت متحفظه على موضوع العلاقه العاطفيه بين البنت والشب قبل الزواج، وكنت على يقين إنّه شباب هذيك الأيام مثل شباب اليوم وشباب العصر البرونزي كلّهم زي بعض، بدهم إشي واحد من البنت، وهذا الإشي البنت وخصوصاً أنا مش مستعده اقدمه إلاّ في الوقت المناسب وللشخص المناسب، علشان هيك كنت مقتنعه 100% أنه الحل هو الإبتعاد والنأي بالنفس عن كل العلاقات العاطفيه في الجامعه لأنه الغرض منها التسليه، وأنا ما بدّي أكون سبب في تسلايه حدا، لأنه العواطف مش لعبه، والحياة قصيره، وكمان عاداتنا وتقاليدنا

وعقلية آبائنا وأخوتنا واخوالنا واعمامنا ما بتسمح للبنت على وجه الخصوص يكون إلها مغامرات عاطفيه مثل اللّي بنشوفها بالأفلام لمصريه.

علشان عيك كنت ضاربه جدار سميك حول نفسي ومحصنها من أي حدا يحاول يدخل بداخله، كنت أرسم تكشيرتي على وجهي مثل ما بعض البنات بترسم شفايفها، وكنت مبسوطه ومش مهتمه ولا مفكره مثلاً إنّي حارم حالي من إشي كبير، بالعكس كنت مستمتعه بالجو الجامعي مع صاحباتي واساتذتي واللّي في الشارع أكثر بكثير من إني أكون مرتبطه بعلاقه عاطفيه يعقد فيها شب أنه صار يملك روحي وجسدي ونفسي، ويمنعني من الحديث والنظر والتفاعل مع العالم علشان يرضي غروره، أو يربي شواربه ورجولته وعلى حسابي.

وهذا الحكي لستمر سنتين، أنا بالمناسبه كنت حلوه وهذا الحلاوه ورثه مش جهد شخصي، وكانت العيون تطاردني، أنا كنت بعرف هذا الحكي، بس كمان مطنشه،

وعارفه الشباب شو اللّي بدهم إياه وأنا ما كان عندي الإستعداد للتفاعل مع طلباتهم.

لحد ما ظهر جلال في حياتي، وجلال ظهر في حياتي قبل هيك بكثير؛ لمّا درسنا مع بعض مساق مشترك، كان يطاردني في عيونه وإجريه، يحاول يخلق مناسبه علشان يحكي معي، بس أنا ولا هون، بس كمان كان جلال شب مختلف عن باقي الشباب في لجامعه أو هيك شفته أنا، كان جدّي، وسيم، علاقاته محدوده، شاطر كثير وذكي، طوله ملحوظ، وكسمه حلو. صحيح البنت ممكن تلعب دور شرطي مرور في الجامعه، بس كمان عندها عواطف وإلها عيون وقلب بنبض في صدرها، وربنا في جلال إبداعه وقدرته وضع فيها هاي الأشياء ومش بخاطرها.

مره على مره؛ صار في بينا نظرات وابتسامات ومجاملات، وصباح الخير صباح لنور، ومره على مره تسمحيلي اعزمك على قهوه في الحديقه، بس أنا كنت ما زلت شرطي مرور ملتزم، أرفض دايماً، وبقيت علاقتنا نظرات وابتسامات وسرحان في المحاضره، وإذا صدف نقعد جنب

بعض في الباص، على أساس الصدفه المتعمده، لحد ما أعطاني رساله، أنا أخذتها وأنا مرعوبه خوف، وقرأتها في الحمام، ولحتفظت فيها في صدري، لوقت النوم.

في لرساله سمعت كلام دخلني بحالة سكر، نشوه، سرور، هيام، حب غرام، عشق اشتياق، ثاني يوم، لمّا شفنا بعض بالصدفه المقصوده، كانت لغة خاصه تشكلت بينا، لغة صامته حروفها وحركاتها ما بفهمنها إلا للّي مثلنا، والحب أيام زمان كان غير، طبعا ما في فيس زي اليوم ولا موبايلات ولا فايبر ولا منسنجر ولا وما يحزنون، كان فيه بس عيون بتقابل عيون ورسائل يمضو العشاق ساعات اللّيل بطوله وهمّا يكتوبوا فيها.

بس للمره لعاشره بعد الألف، شرطي المرور كان دايماً حاضر، ناولته الرساله وما رديت ولا بكلمه وتركت عيوني تحكي، هو فهم وتشجع، وصار كل يوم والتاني يكتبلي رساله، وأنا أقرأها في الحمام، لأنه أصلاً ما كان عندي غرفه خاصه أسكر فيها على حالي واقرأ الرساله.

وتاني يوم أرجّع لرساله إله، واستلم رساله غيرها.

هو ما كان يمل وأنا كنت أرجع على الدار منلهفه أقرأ شو كتب، والغريب في جنس الذكور إنه ظل يكتب دون ما يستنى منّي كلمه وحده، وظليت أنا أقرأ ودون ما يكون عندي رغبة في إني أكتب إشي أعبر فيه عن نفسي.

في الأخير صار الحكي إنه بدّه يخطبني، وفعلا خطبني من أهلي وتمت الخطوبه والجميع صار عارف إنه سميره وجلال مخطوبين وبحبوا بعض علشان هيك دايماً مع بعض، وعشت أحلى أيام عمري، جلال كان إله شخصيه قويه، حضور قوي، متقف وصاحب موقف، وهيك أنا صارت علاقتي فيه علاقه جسدين في روح وحده، كان هو أول إنسان في حياتي، وما كان هاممني أني أكون لثانيه أو الرابعة كان هامنني أني أكون الأخيره.

للأسف هذا الفرح ما اكتمل، وللأسف جلال في الأخير طلع زي ملايين زلام الأرض من العرب والعجم، من بني الأصفر والمجوس والهندوس، ما عرف ولا قدر ولا كان

مستعد للتضحيه علشان لحب، ويوقف في وجه العلم وفي وجه أهله علشان يكسبني ويحافظ على حبنا، هو صحيح قاوم في البدايه بس في الأخير استسلم وأخذ الطريق من قصيرها كيف بيحكو، بعد هيك فسخنا الخطوبه، وهو راح لحال سبيله وأنا إنطويت على نفسي سنه كامله، كان عمري وقتها 22 وهي السنه اللّي بعتبروها في عاداتنا وتقاليدنا لباليه الجمعة لمشمشيه، السنه الأهم بالنسبه للبنت لأنها بتكون في موعد قطف الثمار، قبل هيك بتكون لثمره فجه ومش ناضجه، وبعد هيك بصير الثمره فلت أوان قطفها وبتبلش يتغيّر لونها وطعمها وريحتها وبعدها بتتعفن وبتعنس، في هاي السنه ما ببالغ خطنبي أكثر من عشره، وأنا رافضه، ومره أبوي الله يرحمه هددني اني إذا ما قبلت رح يغصبني ويكتب لكتاب غصب عني، هددته إني رح احرق حالي، خوالي قالوا له اتركها بكره بتعقل.

وأنا اليوم وبعد مرور 30 سنه لسا ما عقلت، لأني ما تجوزت ولا رح اتجوّز، لأني ببساطه ما عدت أثق في الزلام، ولا بحب ريحتهم، ولا بكون مسروره وأنا بكون معهم،

خصوصاً الزلام اللّي بطّلعوا على المره كأنها فاكه صيفيه وبدهم يكلوا منها حتى يشبعو .

بعد ما ملت أبوي تركت البلد وسافرت على الأردن وعملت ماجستير ودكتوراه، درسْت في اليرموك شوي، وفي جامعات ثانيه، زرت أكثر من عشرين دوله، إلي صديقات وأصدقاء من كل دول العالم، بحضر مؤتمرات دايماً، ألفت 7 كتب في مجال تخصصي، وآخر شي طلبوني في فلسطين آسلم وزارة لشؤون الإجتماعية.

وهذا اللّي بعد هذا العمر جالس أمامي بحكي نفس لحكي بس بطريقه أكثر لباقه، نفس الحكي اللّي سمعه منّه قبل 30 سنه، ومتوقع منّي انفاعل معه!!

لمّا شفته اليوم رجّعلي ذكريات ومشاعر وآحاسيس زمان. كأنها السنوات اللّي راحت صارت يوم آو آسبوع، تذكرت أبوي وأمي وأخوتي والموقف اللّي حصلت، تذكرت الجامعه والإنتفاضه وعمّي يوسف، وتذكرت الدكانه والباص، وسندويشات الفلافل، تذكرت الساحة والحديقه والورد واشجار السرو والكينا، بس الـ 30 سنه اللّي فاتوا كانوا حاضرين في

مبنى وزارة الشؤون الإجتماعيه، والمكتب اللّي قاعده عليه وهذا الزلمه الموجود بالصدفه أو لحاجه جابته، كل هذا أعاد لي الذاكره لمرحله مرت من سنوات وفاتت وصارت من لماضي، وما عاد إلها أي أثر أو قيمه.

استجمعت كل طاقتي وكرهي للرجال وعفونه أفكارهم وغبائهم وغادرت لمكتب دون ما أطرده، وتركته يضرب آخماسس بأسداس.

(49)

الحلاق

من لمّا كنت بيبي صغير وأنا بكره لحلاقه والحلاق، حتى لو كان الحلاق كاظم الساهر، ويكون يغنيلي وهو بيحلقلي أنا وليليى.

اليوم أنا زلمه وراي أولاد ومره ولسا بكره الحلاقه والحلاقين، ولمّا بطوّل شعري بصير شكلي متل بدو الربع الخالي، وطبعا بروح على الحلاق بعد ما أطّلع روح مرتي وهي تقولي روح احلق، متل ما كنت آجنن أمي وهي تقولي روح احلق أو ابوي وهو يقولي روح انصرف من وجهي احلق وانت عامل زي كارل ماركس.

اليوم لجمعة رحت عند الحلاق، وهو زلمه كبير شوي، ولمّا بزوره للحلاقه تعوّدت عليه يعطيني لنشره الشهريه أو النشره ما بين الحلقه والحلقه؛ مين مات، مين اجوّز، مين اطلقت، مين عمل حادث، مين حبلت مين نزّلت ومين ولدت، يقعد يحيكي بالساعة، وطبعاً أنا متعود أروح الصبح بكير يوم

الجمعه حتى ما يكون حدا غيري، أو يوم الخميس متأخر بالليل، وكل مره كنت أنوي أحلق، احكي معه تلفون ونتفق على الموعد المناسب.

اليوم لجمعة، كانت الساعة مش صايره 8 الصبح، لقيته عامل قهوه، شربنا ودخنا، وبدأ الحلاقه والحكي، بس اليوم كانت نفسه مفتوحه على الأراضي، شكله مبارح في تاجر أراضي كاين يحلق عنده، وصار يحيكي عن قصص لناس اللّي بتّاجر في الأراضي، وكيف أنهم بعملوا مصاري، خرّفني عن واحد نسيت أسمه اشترى تقريباً 2000 دونم بترلب لمصاري في احدى مدن الشمال، وتبرع بأربعين دونم علشان يبنو فيها جامعه، وطبعا فش 4-5 سنوات صارت الأرض هناك بتسوى الوف، وطلع لزلمه حاسبها صح، يعني زي اللّي برمي سمكة تونه علشان يصيد حوت، وهيك المحسن الكبير صار مليونير كبير من ورا فكره.

لمّا بتيجي سيره الأراضي، لازم يجي في بالي جارنا أبو نافع، وكيف علش عمره كلّه على ما وعيت عمري ما شفته بشتغل ولا إله مهنه، مهنته لوحيده هو سمسرة الأراضي،

وكان إذا ضرب ضربه على رأي أبوي بطلّع اللّي بده أبوي يطلعه في 10 سنين في الوظيفه.

وحكى الحلاق عن واحد أسمه عمر أبو راس، يمكن هو ما بعرف إني كنت أنا وأبو راس أولاد صف واحد، درسنا مع بعض في نفس الصف حتى الإعدادي، أنا كملت دراسه وتخرجت واشتغلت في وزارة الزراعه وهو ما كمل دراسته، اشتغل في إسرائيل مهن كثيره، تقريبا ما خلّى مهنه تعتب عليه. لكن فجأه هبط عليه المال من ورا تجارة الأسهم والعقار، كنت بعرف إنه بتاجر في الأراضي، وطبعا تجارة الأراضي إلها ناسها، وبدها راس مال، لكن إنّه أبو راس يصير تاجر أراضي، كان صعب إنها تركب على راسي.

أنا نسيت ولحلاق ذكرني أنه تجارة الأراضي في فلسطين من أيام لعثمانيين وهي تجاره مشبوهه، وعليها علامات استفهام، لأنه تاجر الأراضي، همّه الربح ومش همّه الوطن، واحنا صرلنا أكثر من قرن واقعين تحت مكر اليهود وأعمال الشيطنه من تحت لتحت، من مؤتمر بال في سويسرا وبعدها وعد بلفور، واليهود يشتروا أراضي فلسطين دونم دونم،

وشبر شبر، وطبعاً علشان يتم البيع، لازم يكون في بلّع وسمسار ومشتري، وهذا اللّي صار مع أبو راس أشكاله.

الحلاق ذمته وساع، وساع كثير، أسهل شيء إنك تخّون واحد أو تتهمه بشرفه، وهو في جلسه جلسه وحده خوّن ابو راس، وكمان شكك بشرفه، لأنه على رأيه اللّي بيبع أراضي لليهود أكيد إبن حرام وخائن لله والوطن ولدم الشهداء.

(50)

الحب اليوم والحب أيام زمان

لمّا سألته إذا عنده علاقه عاطفيه؛ ما ردّ، ودار وجهه وانشغل بالموبايل.

قلت لحالي واحد زيّه عمره 20 سنه، أحلى عمر بالدنيا، زهره في عز تفتحها، أجمل مرحله في حياة الإنسان، معقول ما بحب وحده من زميلاته في الجامعه، خصوصاً إنّه بنات اليوم أحلى بكثير من بنات زمان، وطبعاً السبب ما إله علاقه بالجينات، الموضوع بالأساس متعلق بالموضات واللبس والألوان ولمكياج وجو لتحرر اللّي عايش فيه هذا الجيل، يعني يحكو مع بعض يتسلّو يتزاعلو، يتراضو، تزنّله الصبح علشان تصحيه لمحاضرة لثمنيه، يزعلها ليش حكت مع صاحبه يومين ويصالحا بحبة توكس أو سندويشه فلافل.

وكان هو من النوع اللّي البنات بحبوه، ناعم، وكسم وملامحه رجوليه لطيفه ونظيفه بعدها الدنيا ما وسختو.

وتذكرت لمّا كنت بعمره كنت حَبيّب نمره واحد، وكان صار عندي مغامرات عاطفيه كثيره، قلبي تحطم أكثر من

مره، بس بعد هيك كنت أقوم مثل طائر العنقاء، ومن بين الرماد العاطفي أحب وحده ثانيه.

بسأل حالي شو صاير لشباب اليوم، في عندهم زهد كبيير في الجنس الآخر، أيامنا ما كان شاغل مخنا غير المدرسه وبنات الحاره، نتواصل معهم من الشباك للشباك بالإشاره، نعاكسهم في ترويحة المدارس، وإذا لمواضيع تطوّرت نمضي اللّيل وحنا نكتب رسائل نرميها قدّام البنت، أو نبعتها مع رسول ساذج مش فاهم الطبخه لخوها الصغير أم أختي اللّي في صف أول، وهمّا كمان كانوا يلعبو معنا القط والفار وكنا مبسوطين.

شباب اليوم غير عنّا تماماً، الرياضه والمباريات والفيس والوتس والافلام الأجنبيه والإكس بوكس والكوفي شوبات عاميه ضوهم عن الدنيا، تصدقوا أنه كثير منهم بدخل لجامعه وبخرج منها وقلبه ما بيرف ولا مرّه، كأنه قلوبهم مصنوعه من السيلكون، أو كأنه الكلاسيكو دمر الخلايا العاطفيه في قلوبهم وعقولهم.

الفهرس

الرقم	العنوان	الصفحة
(1)	زوجي لعبة تفاعلية..	11
(2)	أمي بتكره الفرس بوك	19
(3)	المكتوب على الجبين	29
(4)	ورقة التوت	35
(5)	المسافه بين طولكرم وأمريكا	45
(2)	اوسلو عاصمة الضحك على الذقون	59
(7)	كان اسمه أدهم..	65
(8)	"أشفق على الملايين من النساء"	77
(9)	أبوي بدون مهنه	83
(10)	علاء الأزعر	89
(11)	الدنيا لا تستحق المنافسة	95
(12)	كان نفسي أتجوز هندي[22]	103
(13)	الحسن أخو الحسين	118
(14)	نجاة	123
(15)	خالي عُمَر	129
(16)	عيني زايغه	143
(17)	السبت المشؤوم	151
(18)	ارفع راسك، أنتَ مسلم	161
(19)	النائح بنحكي	171
(20)	برنامج الرئيس	175
(21)	الإهداء	179
(22)	إنتحار مواطن	189
(23)	خالتي أم العبد	193

(24)	بطلت أحبه	195
(25)	الدكتور ربيح	201
(26)	"صلّوا صلاة خاشع مودع"	209
(27)	"الزلام كلهم فارين على شبخ واحد"	217
(28)	يوم الصفا ما بنفوّت[23]	223
(29)	عمتي أم واصف	235
(30)	محراب الكلمات	243
(31)	أكثر من سيناريو	245
(32)	علّموا أولادكم الرسم	251
(33)	أمين ودالبا	255
(34)	نفسي أهاجر على اوروبا	261
(35)	إبني ضحيّة نجاحي	265
(36)	في المخيم	277
(37)	الدكتوره مها	293
(38)	قبلك، بس عمري ما كنت راضيه	299
(39)	عمّي نوري	303
(40)	12 بطن	305
(41)	بدي أجوّز وحده، أربيها على مزاجي	311
(42)	براقب أمي	315
(43)	الصبرات هن الجميلات	320
(44)	الرسول محمد(ص) من مواليد نابلس	321
(45)	وداد لـ سالم، وسالم لـ وداد	325
(46)	أصحاب الكروش	323
(47)	سيدي حب بنات الجامعه	331
(48)	وزيرة الشؤون الإجتماعيه	337

(49)	الحلاق	351
(50)	الحب اليوم والحب أيام زمان	355